مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد الرابع عشر
شهر محرم الحرام/ ١٤٤٣هـ- آب ٢٠٢١م.

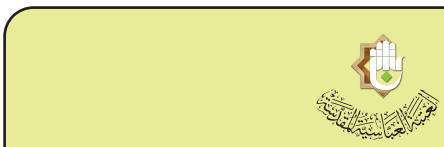

اوراق معرفية

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

متابعة وتنفيذ

السيد عقيل الياسري

هيأة التحرير

بدر العلي

الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود – عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

في هذا العدد...

براعة التّقطيع القرآنيّ	السيّد محمّد باقر السيستانيّ	١٠
القرآن وضع مناهج الحياة للإنسان	السيد محمد حسين الطباطبائي	١٨
الدين هدف الفطرة القويمة	الشيخ محمد أمين زين الدين	٢٨
وجوب عصمة الإمام	الشيخ مقداد بن عبد الله السيوريّ	٣٢
إثبات الوثاقة أو الحسن في نص أحد الاعلام المتأخرين	السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره	٣٨
الفرق بين القاعدة الفقهيّة والقاعدة الاصولية	الشيخ محمد الفاضل اللنكراني	٤٢
بقاء الشريعة بالحسين عليه السلام	السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم	٤٦
العباس بن علي (عليهما السلام)	الشيخ باقر شريف القرشي	٥٣
عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام)	الشيخ محمد بن طاهر السماوي	٥٨
تدارك النقص	الشيخ محمّد تقي فلسفي	٦٤
الوصايا العشر	الشيخ محمد جواد مغنية	٦٦
الأدب والأديب	الشيخ علي كاشف الغطاء	٧٤

الورقة الأولى ...

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنّ قضية الحق من المسائل التي تكفّلها الباري عزّ وجلّ ودعا إليها وأكد عليها في كثير من المواطن في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ﴾، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا﴾، ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، وقد تكفّل الله سبحانه من يقف مع الحق، ويثبّت أركانه أن يُسدل عليه الخلود، ومنذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا ما تزال تصدح الحناجر باسمه، وتغرد الشعراء بإبائه، وتهتف الشجعان بصولاته، روحي له الفداء، سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فحينما رأى الحق لا يُعمل به، وقد شاع الفساد في الأرض، وتصدى مَن لا يستحق كلمة مسلم إلى قيادة المسلمين، هتف قائلاً: ومثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحقّ بالخلافة والبيعة.. وعند مسيره عليه السلام، نحو كربلاء خطب بأصحابه قائلاً:...ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُنتهى عنه.. وقد ترجم أقواله إلى أفعال منذ خروجه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى كربلاء الشهادة.

فقد خلد الإمام الحسين عليه السلام ذكراً وفكراً وعقيدةً، ونصب له علم في كربلاء باقٍ حتّى ظهور راية (يا لثارات الحسين).

وها هو عدد الأحزان والأشجان (محرم الحرام) بين يديك أخي القارئ تأخذ منه العِبرة والعَبرة، من خلال ما كتبته أيدي علمائنا ببركة الدماء الزكية التي سالت من أجل الدين وتثبيته، فهما نهران يرويان الإسلام على مرّ العصور بالقوة والعلم (دماء الشهداء ومداد العلماء).

أوراد قرآنية

براعة التَّقطيع القرآنيّ

السيّد محمّد باقر السيستانيّ

قد لُوحظ في صياغة الكلام في القرآن تقطيع الكلام تقطيعاً خاصًّا إلى فقرات تُسمَّى كلُّ واحدةٍ منها بـ(الآية).

والتَّقطيع النَّثريّ على هذا النَّحو ممَّا يختصُّ به القرآن الكريم، ولا نعهده ـ فيما أعلم ـ في أيِّ نصٍّ دينيٍّ أدبيٍّ آخر، حتَّى خطب الإمام عليّ عليه السلام، ويبدو أنَّ إتقانه وإخراجه مخرجاً حسناً في جمع الكلام ليس أمراً سهلاً، فهو بذلك من مميِّزات القرآن الكريم.

إنَّ تقطيع الكلام القرآنيّ إلى (آيات) ليس أمراً أوجده المسلمون في الكتابة أو اللَّفظ، بل هو في أصله كان منظوراً بصياغة الكلام، بمعنى أنَّ الكلام صِيغَ على نحو ينبغي تقطيعه إلى آيات، مع اهتمامٍ صوتيٍّ بآخر الآية، وقد جاء التَّعبير عن تلك الفقرات المقطَّعة بـ(الآيات) في القرآن الكريم نفسه، وهو في حقيقته إلفات للنَّظر إلى اتِّجاه المتكلِّم في صياغة النَّصِّ إلى هذا التَّقطيع.

وقد لوحظ في هذه التَّقطيعات -عموماً- أنَّها جرت على ضربٍ من النَّثر الموزون يتَّصف بالخصائص التَّالية:

(أولاً): سلاسة الانتقالات الصَّوتيَّة في داخل الآية من بدايتها إلى نهايتها على نحو ما وصفناه في الجملة.

(ثانياً): تسلسل الآية ـ غالباً ـ على نحوٍ يُتراءى أنَّها تنهض ببدايتها وتستقرُّ بنهايتها، فلو تأمَّلت ـ مثلاً ـ آية البسملة لوجدت أنَّها تبتدئ بـ(الباء) و(الاسم)، وتتدرَّج لتنهض بكلمة (الله الرَّحمن)، وتستقرُّ في النِّهاية على كلمة (الرَّحيم)، ولو بدَّلت شيئاً في هذه الجملة لم تجد لها التَّسلسل المناسب، كما لو قلت ـ مثلاً ـ: (بسم الله الرَّحيم الرَّحمن)، أو (بأسماء الله الرَّحمن الرَّحيم)، أو (بسم الرَّحمن الرَّحيم الله)، مع أنَّ ذلك كلَّه مفيدٌ لنفس المعنى.

(ثالثاً): تكوين الآية بمجموعها وزناً مناسباً بحيث لو نقصت منها كلمةٌ أو جملةٌ لم تكن بتلك الحال، كما نجده في كثيرٍ من الآيات، فالبسملة نفسها ذات وزنٍ جذَّابٍ بالكلمات الأربع، فلو نقصت منها كلمةٌ كأن قلت: (بسم الله الرَّحيم)، أو (بسم الله الرَّحمن) أو (بسم الرَّحمن الرَّحيم) لانتقص بذلك جمالها. ومثالٌ آخر قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾، فهذه الآية جميلةٌ بوزنها من خلال الكلمات الأربع، ولو حُذفت إحدى كلمتي (هيهات) لانتقص وزنها وذهب بعض روعتها.

(رابعاً): تماثل الآيات أو تقاربها أو تناسبها في الوزن ما أمكن من دون تكلُّف، وهو أمرٌ ملحوظٌ بشكلٍ واسعٍ في آيات السُّور المكِّيَّة، كما هو ملحوظٌ بشكلٍ كبيرٍ في آيات السُّور المدنيَّة، ولكن في مستوى التَّناسب بين وزن الآيات.

(خامساً): تماثل الآيات أو تقاربها في الكلمة الأخيرة، أو الكلمتين الأخريين منها وزناً، وفي الحرف الأخير فيما أمكن من دون تكلُّفٍ. ويُسمَّى تماثل الحرف الأخير بـ(السَّجع).

وقد تجنَّب القرآن الكريم أيَّ تكلُّفٍ في سبيل توحيد الوزن أو المحافظة على السَّجع، واسترسل في العرض متى حكمت اقتضاءات الكلام، حتَّى في السُّور القصار، وذلك أمر مشهود.

ولقد سعى فريق إلى معارضة القرآن، وهو أمرٌ يتكرَّر كلَّ فترةٍ، إلَّا أنَّ أيَّ نصٍّ من هذه النُّصوص ـ رغم اقتفائها للنَّسق القرآنيِّ واقتباسها منه وسعيها في التَّماثل معه ـ لا يبلغ المستوى الأدبيّ المعتاد فضلاً عن أن يكون مضاهياً للقرآن الكريم، ومن ثَمَّ لا يُطرح على وجهٍ واسعٍ، ولا يكون محلَّ التفاتِ الأدباء المسلمين وغيرهم بحالٍ.

[رسالة الله سبحانه الى الإنسان، ص ٢٩٦]

التفاسير الموجزة

الشيخ محمد هادي معرفة

هناك تفاسير اتخذت طريقة الإيجاز في تفسير القرآن وتبيين معانيه، ابتعدت عن طريقة التفصيل التي مشى عليها أكثر المفسرين الكبار، محاولين بذلك تقريب معاني القرآن الى الأذهان في خطوات سريعة ومتقاربة، والأكثر أن يكون ذلك خدمة للناشئة من طلبة العلوم الدينية، ومن قاربهم من ذوي الثقافات العامة.

١ـ وممن حاز قصب السبق في هذا المضمار، هو (السيد عبد الله شُبَّر) في تفسيره الوجيز الذي قدمه للملأ من المسلمين خدمة موفقة الى حد بعيد، فهو -على وجازته- يحتوي على نكات ودقائق تفسيرية رائقة، مما قد يفوت بعض التفاسير الضخمة فانه لا يفوته أن يكشف لنا عن كثير من النكات اللفظية والبيانية والمعنوية، مع الخوض أحياناً في المعاني اللغوية والمسائل النحوية، كل هذا ـ كما قال الأستاذ الذهبي ـ في أسلوب ممتع لا يمل قارئه من تعقيد ولا يسأم من طول[١].

وقد حرص المؤلف على أن يكون جل اعتماده على ما ورد من التفسير عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وإن كان لا يعزو كل قول الى قائله في الغالب، كما حرص على أن ينصر المذهب ويدافع عنه سواء في ذلك ما يتعلق بأصول المذهب أم بفروعه وهو بعد ذلك يشرح الآيات التي لها صلة بمسائل علم الكلام شرحاً يتفق مع مذهب أهل العدل، او الظاهر المتفق عليه لدى أهل الحديث، ثم لا يفوت المؤلف في تفسيره هذا ان يشير الى بعض مشكلات القرآن التي ترد على ظاهر النظم الكريم، ويجيب عنها إجابة سليمة عن تكلف أهل البدع. ولا غرو فانه الأديب البارع والفقيه المحدث الجامع.

ولقد وصف المؤلف تفسيره هذا، وبين مسلكه فيه، جاء في مقدمته:

«هذه كلمات شريفة، وتحقيقات منيفة، وبيانات شافية، وإشارات وافية، تتعلق ببعض مشكلات الآيات القرآنية، وغرائب الفقرات الفرقانية، ونتحرى غالباً ما ورد عن خزان أسرار الوحي والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتأويل، الذين نزل في بيوتهم جبرائيل، بأوجز إشارة وألطف عبارة، وفيما يتعلق بالألفاظ والأغراض والنكات البيانية، تفسير وجيز فإنه ألطف التفاسير بياناً، وأحسنها تبياناً، مع وجازة اللفظ وكثرة المعنى»[٢].

ولقد وفى المؤلف بما وعد، فقد أسند جواهر تفسيره وجيد آرائه الى معينه الأصل من علوم ائمة أهل البيت عليهم السلام كما أوجز وأوفى في البيان وإبداء النكت والظرائف في عبارات سهلة قريبة وافية.

قال الأستاذ حامد حفني (أستاذ كرسي الأدب في كلية الألسن العليا بالقاهرة) في مقدمة التفسير المطبوع بالقاهرة: «و

(١) راجع: التفسير والمفسرون، ج٢، ص١٨٧.

(٢) تفسير شبر، ص٣٨.

العالم بهذا الفن يدرك -لأول وهلة- دقة المفسر وإمساكه بخطام هذه الصناعة، وجمعه لأدوات المفسر ولعلك وأنت تقرأ تفسير الفاتحة في تفسيره هنا وتوازن ذلك بما جاء في (تفسير الجلالين) تقف بنفسك على قدرات المفسر، ولا سيما في الأصول اللغوية، حين يرد لفظ الجلالة (الله) الى أصله اللغوي، وحين يفرق- في حصافة منقطعة النظير- بين معنى اسمه تعالى (الرحمن) واسمه تعالى (الرحيم). وحين لا يكتفي بالفروق اللغوية، فيزيدك ايضاحاً بما حفظه من نصوص وأدعية مرفوعة الى ائمة أهل البيت النبوي عليهم السلام. وهو في ذلك كله سهل الجانب، معتدل العبارة، يسوقها في حماس العالم، وليس في ثورة المتعصب كما لا ينسى وهو يفسر أن يشرح الآية بآيات أخرى، وأن يذكر سبب النزول كلما دعا الامر الى ذلك، وكان عونا له على توضيح المعنى المطلوب من الآية، وهكذا نلحظ هذا الصنيع في سائر عبارات هذا التفسير الجليل»[1].

هذا، وقد أتم المؤلف تفسيره هذا ـ كما قال في خاتمته ـ في جُمادَى الأولى سنة تسع وثلاثين ومائتين بعد الالف من الهجرة (١٢٣٩هـ) وقد طبع عدة طبعات، ولايزال...

٢- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جُزى الكلبي الغرناطي توفي سنة (٧٤١هـ). كان من مشاهير العلماء بغرناطة عاكفاً على العلم والاشتغال بالنظر والتحقيق والتدوين، وقد ألف في فنون من علوم القرآن والفقه والحديث والتفسير. كان المؤلف ممن يرغب في الجهاد، فقتل شهيداً في معركة (طريف) بالقرب من (جبل طارق).

وتفسيره هذا موجز شامل لتفسير القرآن كله، مع إيضاح المشكلات وبيان المجملات وشرح الأقوال والآراء بصورة موجزة وافيه. قال في المقدمة:

«وصنف هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكاً نافعاً؛ إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربعة فوائد:

١- جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم.

٢- ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة.

٣- إيضاح المشكلات، وبيان المجملات.

(١) تفسير شبر، مقدمة الدكتور حامد حفني داود.

٤- تحقيق أقوال المفسرين، وتمييز الراجح من المرجوح»[1].

وجعل المؤلف لتفسيره مقدمة وجيزة ذكر فيها ما يتعلق بشؤون القرآن وعلومه الشيء الوفير، وحقق فيها مسائل كثيرة نافعة، جعلها في اثني عشر باباً، وهي أشبه بمقدمة (المحرر الوجيز) لابن عطية، ولعلها مأخوذة منها فإن المؤلف اعتمد في تفسيره هذا الوجيز على تفسير ابن عطية، والكشاف للزمخشري، وغيرهما من تفاسير أدبية ولغوية كانت معروفة آنذاك، وعلى أي تقدير فهو تفسير لطيف وجامع كامل في بابه وقد طبع عدة طبعات.

٣- تفسير الجلالين، اشترك في تأليف هذا التفسير، جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي فقد ابتدأ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي - المتوفى سنة (٨٦٤هـ) وكان علامة عصره - في تفسير القرآن من أول سورة الكهف الى آخر القرآن، ثم شرع في تفسير الفاتحة، وبعد أن أتمها اختارته المنية فلم يفسر ما بعدها. فجاء جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١هـ) فأكمل التفسير، فابتدأ بتفسير البقرة وانتهى عند آخر سورة الاسراء، ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي لتكون ملحقة به.

وقد نهج السيوطي في التفسير منهج المحلي، من إيجاز المطالب، وذكر ما يفهم من كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج اليه، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف، وتعبير وجيز، بحيث لا يكاد قارئ تفسير الجلالين يلمس فرقاً بيناً بين طريقة الشيخين فيما فسراه، اللهم في مواضع قليلة لا تبلغ العشرة.

والتفسير قيم في بابه، وحظى بكثرة الانتشار ورواجه بين رواد العلم، وقد طبع مرارا وطار صيته.

٤- صفوة التفاسير، تأليف الأستاذ محمد علي الصابوني، من أساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة. كان له نشاط في علوم القرآن والتفسير، ومن ثم قام بتأليف عدة كتب في التفسير وعلوم القرآن، أكثرها مختصرات، كمختصر تفسير ابن كثير، ومختصر تفسير الطبري، والتبيان في علوم القرآن، وروائع البيان في تفسير آيات الاحكام، وقبس من نور القرآن، وصفوة التفاسير، وهو الكتاب الذي نحن بصدده.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (المقدمة)، ج١، ص٣.

وهو تفسير موجز، شامل جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق التفاسير المعروفة كالطبري والكشاف وابن كثير والبحر المحيط وروح المعاني، في أسلوب ميسر سهل التناول، مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية، قال في المقدمة: «وقد أسميت كتابي (صفوة التفاسير)، وذلك لأنه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان».

فهو تفسير توسط فيه المؤلف في مسلكه العلمي، ليسهل فهمه على طلبة العلم بأسلوب سهل وعبارات ميسرة، وإيضاحات جيدة في بيان تحليلي تربوي قريب التناول طبع الكتاب في ثلاثة مجلدات، وكان تاريخ التأليف سنة (١٤٠٠هـ).

٥- الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تأليف الاستاذ محمد علي دخيل، من ذوي النشاطات الدينية الحريصة على الاسلام والدفاع عنه، الى جنب تربية النشئ الجديد تربية اسلامية عريقة، ومن ثم كانت تآليفه تدور حول هذا المحور، مثل: ثواب الاعمال وعقابها، علي في القرآن، دراسات في القرآن الكريم، قصص القرآن الكريم، المصحف المفسر، الوجيز - الذي هو مورد دراستنا- فقد تم تأليفه سنة (١٤٠٥هـ)، وطبع سنة (١٤٠٦هـ)، في مجلد واحد كبير، في (٨٢٩) صفحة.

وهو تفسير موجز شامل، يغلب عليه اللون التربوي التحليلي، متناسباً مع مستوى الجيل الحاضر التزم فيه بنص الطبرسي في مجمع البيان مع مراعاة الاختصار. يبين فيه مجمل المعنى من دون أن يتوسع فيه او يتعرض للأدب والبلاغة، وانما يذكر اللغة والتفسير الموجز، مع ذكر الأحاديث الواردة، عن النبي او أحد الائمة عليهم السلام بحذف الاسناد، احياناً، كما يتعرض لمواضع الاستدلال في المذهب الامامي في ظرافة وايفاء. وقد ألحق بآخره بحثاً حول العقائد والأخلاق والقصص، كدراسات موضوعية في التفسير، كما تعرض في الختام لجانب من التفسير العلمي لآيات متناسبة في ذلك ومن ثم فهو تفسير جامع في وضعه، وشاف كاف لأبناء الجيل الحاضر، لمن اراد الايجاز والاختصار.

٦- تقريب القرآن الى الاذهان، تفسير مزجي لطيف، شرح معاني الآيات على طريقة المزج بين الاصل والشرح، مع بيان اللغة

واسباب النزول لدى الحاجة، وتعرض لمسائل الفقه والكلام عند المناسبة بصورة موجزة يقع في ثلاثين جزءاً حسب تجزئة القرآن، وكان تأليفه سنة (١٣٨٣هـ) وتم طبعه سنة (١٤٠٠هـ).

تأليف الفقيه العلامة السيد محمد الشيرازي، من أعلام النهضة الاسلامية المعاصرة، صاحب بحوث ودراسات اسلامية موسعة، وفي مختلف جوانبها. وله حول القرآن كتابات غير هذا، منها: (تسهيل القرآن) في عشرة اجزاء، و(توضيح القرآن) في ثلاثة اجزاء، و(تبيين القرآن)، و(الجنة والنار في القرآن)، لم تخرج الى عالم الطباعة.

٧ـ النهر الماد من البحر المحيط، تفسير أدبي، ونحوي لغوي، تأليف أبي حيان محمد ابن يوسف الاندلسي الغرناطي، المتوفى سنة (٧٤٥هـ) اختصره من تفسيره الكبير (البحر المحيط) وطبع على هامشه، وهو تفسير لطيف حوى النكات الأدبية الرائعة التي كان أودعها في تفسيره الكبير، وحذف منه الأبحاث الجدلية المسهبة، ولخصها في هذا التفسير قال في المقدمة: لما صنفت كتابي الكبير المسمى بـ(البحر المحيط)، عجز عن قطعه لطوله السابح. فأجريت منه نهراً تجري عيونه، وتلتقي بأبكاره فيه عيونه، لينشط الكسلان في اجتلاء جماله، ويرتوي الظمآن بارتشاف زلاله. وربما نشاء في هذا النهر مما لم يكن في البحر، وذلك لتجدد نظر المستخرج للآليه، المبتهج بالفكرة في معانيه ومعاليه وما أخليته من أكثر ما تضمنه البحر من نقوده، بل اقتصرت على يواقيت عقوده، ونكبت فيه عن ذكر ما في البحر من أقوال اضطربت بها لججه، وإعراب متكلف تقاصرت عنه حججه[١].

وهناك مختصر آخر للبحر المحيط لتاج الدين الحنفي النحوي تلميذ أبي حيان، سماه (الدر اللقيط من البحر المحيط) مطبوع بالهامش ايضاً.

[التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب]

(١) النهر الماد (المقدمة)، بهامش البحر المحيط، ج١، ص٤-١٠.

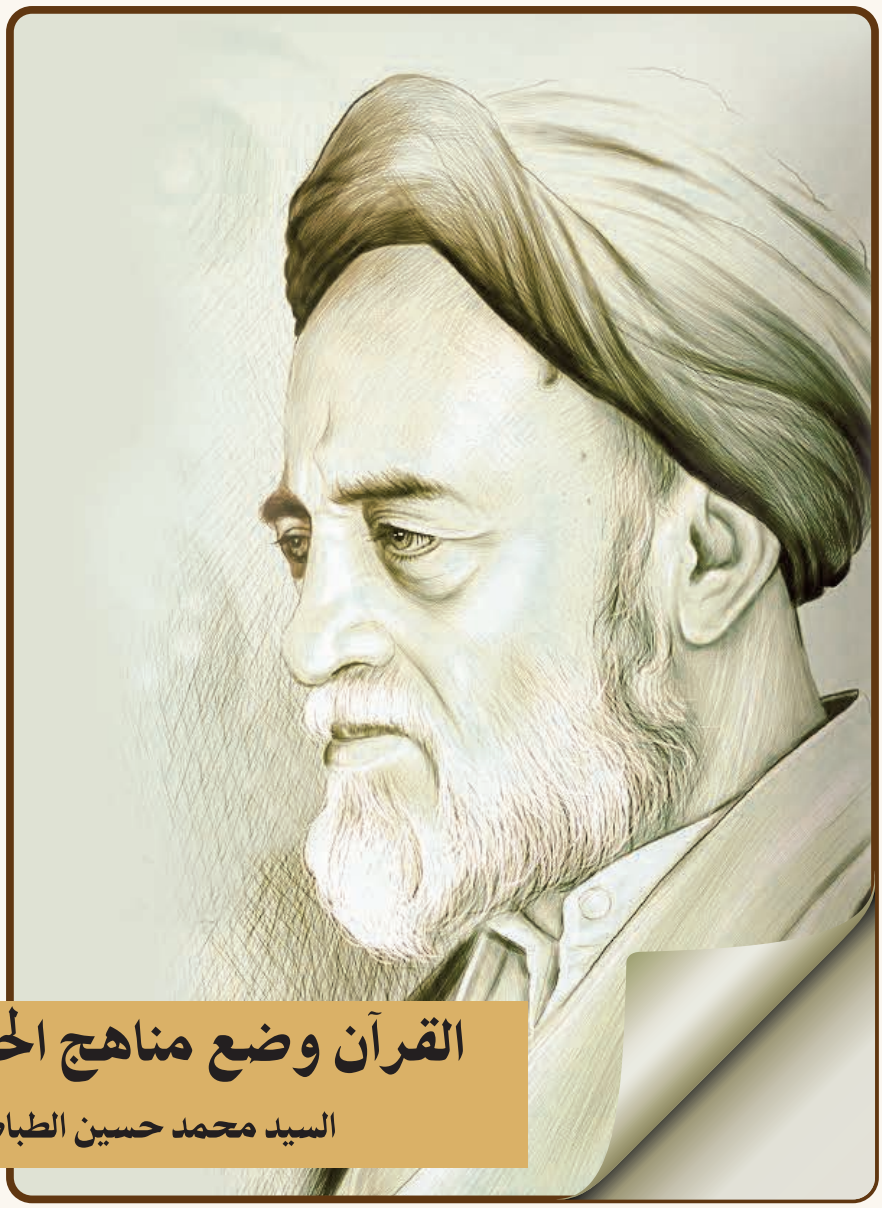

القرآن وضع مناهج الحياةللإنسان

السيد محمد حسين الطباطبائي

ان للإنسان هدفاً يجب ان يصل اليه في مسيرة حياته بجهوده واعماله، ولا يمكن الوصول الى هدفه المنشود الا باتباع قوانين وآداب خاصة، ولا بد من تعلم تلك القوانين والآداب من كتاب الفطرة والخليقة الذي نعني به التعليم الالهي ـ مع رعاية القرآن الكريم هذه المقدمات الثلاث وضع مناهج الحياة للإنسان كما يلي:

جعل اساس المنهج على معرفة الله تعالى، كما جعل الاعتقاد بوحدانيته أول الأصول الدينية ومن طريق معرفة الله دله على الميعاد والاعتقاد بيوم القيامة، اليوم الذي يجازي فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وجعل المعاد اصلاً ثانياً ثم من طريق الاعتقاد بالمعاد دله على معرفة النبي، لان الجزاء على الاعمال لا يمكن الا بعد معرفة الطاعة والمعصية وما هو حسن وما هو سيئ، ولا تتأتى هذه المعرفة الا من طريق الوحي والنبوة وجعل هذا اصلا ثالثاً.

واعتبر القرآن الكريم هذه الاصول الثلاثة ـ الاعتقاد بالتوحيد والنبوة والمعاد ـ اصول الدين الإسلامي.

وبعد هذا بين اصول الاخلاق المرضية والصفات الحسنة التي تناسب الاصول الثلاثة والتي لا بد ان يتحلى بها كل انسان مؤمن، ثم شرع له القوانين العملية التي تضمن سعادته الحقيقية وتنمي فيه الاخلاق الفاضلة والعوامل التي توصله الى العقائد الحقة والاصول الاولية.

وهذا لأننا لا يمكن ان نصدق ان انسانا يتصف بعفة النفس ثم ينهمك في المسائل الجنسية المحرمة ويسرق ويخون الامانة ويختلس في معاملاته، كما اننا لا يمكن ان نعترف بسخاء شخص يفرط في حب المال وجمعه وادخاره ويمنع حقوق الاخرين او يبخسهم فيها، وكذلك لا نعتبر رجلا مؤمناً بالله تعالى واليوم الاخر وهو لا يعبد الله ولا يذكره في ايامه ولياليه. فالأخلاق الفاضلة لا تبقى حية في الإنسان الا اذا قورنت بأعمال تناسبها.

ومثل هذه النسبة التي ذكرناها بين الاعمال والاخلاق توجد ايضا بين الاخلاق والعقائد، فان اي انسان مغمور بالكبر والغرور وحب الذات لا يمكن ان يعتقد بالله تعالى ويخضع لعظمته، ومن لم يعلم طول حياته معنى الانصاف والمروءة والعطف على الضعفاء لا يدخل في قلبه الايمان بيوم القيامة والحساب والجزاء.

يقول تعالى بصدد ربط العقائد الحقة بالأخلاق المرضية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ويقول تعالى في ربط الاعتقاد بالعمل: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم: ١٠]

ونتيجة القول: ان القرآن الكريم يحتوي على منابع اصول الإسلام الثلاثة التي هي:

١ ـ اصول العقائد. وهي تنقسم الى اصول الدين الثلاثة التوحيد والنبوة والمعاد، وعقائد متفرعة عنها كاللوح والقلم والقضاء والقدر والملائكة والعرض والكرسي وخلق السماوات

والارضين واشباهها.

٢ ـ الاخلاق المرضية.

٣ ـ الأحكام الشرعية والقوانين العملية التي بين القرآن أسسها وأوكل بيان تفاصيلها إلى النبي صلى الله عليه وآله، وجعل النبي بيان أهل بيته عليهم السلام بمنزلة بيانه، كما يعرف ذلك من حديث الثقلين المتواتر نقله عن السنة والشيعة.

القرآن سند النبوة:

يصرّح القرآن الكريم في عدّة مواضع أنّ كلام الله المجيد يعني أنه صادر من الله تعالى بهذه الألفاظ التي نقرأها، وقد تلقاها النبي صلى الله عليه وآله بهذه الألفاظ بواسطة الوحي.

وللإثبات بأنه من كلام الله تعالى وليس مما أبدعه البشر تحدّى القرآن -في آيات منه كافة- الناس في أن يأتوا ولو بآية من مثله، وهذا يدلّ على أنه معجز لا يمكن أن يأتي بمثله أي واحد من الناس.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[1].

وقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]. وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[3]. وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾[4]. وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[5].

وتحديا لهم بخلو القرآن من الاختلاف قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[6]. القرآن الكريم الذي يثبت بهذه التحديات أنه كلام الله تعالى يصرح في كثير من آياته بأن محمدا رسول مرسل ونبي من الله، وبهذا يكون القرآن سندا للنبوة.

ومن هنا أمر النبي صلى الله عليه وآله في بعض الآيات بأن يستند لاثبات نبوته بشهادة الله عز شأنه له بذلك، ويعني بها تصريح القرآن بنبوته، فيقول: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[7].

وفي موضع آخر يزيد على شهادة الله شهادة الملائكة بذلك فيقول: ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[8].

[القرآن في الاسلام]

(١) سورة الطور: ٣٣، ٣٤.
(٢) سورة الإسراء: ٨٨.
(٣) سورة هود: ١٣.
(٤) سورة يونس: ٣٨.
(٥) سورة البقرة: ٢٣.
(٦) سورة النساء: ٨٢.
(٧) سورة الرعد: ٤٣.
(٨) سورة النساء: ١٦٦.

أوراق قرآنية

الحلقة الرابعة عشرة

الوظيفة في حال احتمال المرء
لصدق الرؤية الدينة وعدمه

منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

قد يظن أنه يكفي في معذورية المرء تجاه الدين عدم إحرازه لحقانيته؛ لأنّ المهم في شأن الدين هو العقاب الأخروي، وهذا العقاب لا يترتب في حال الجهل بالحكم؛ لقاعدة عقلائية وهي: أنه لا عقاب من دون بيان؛ فمن لم يصله بيان الدين -على وجه يوجب إذعانه به- فإنه يكون معذوراً في عدم إيمانه بالدين.

ولكن هذا الظن فيه تسطيح لحقيقة الدين من عمقه -الذي عرفناه في الفصل الأول- إلى مجرّد العقاب على مخالفة التكليف الإلهي، وهو مع ذلك ليس صائباً.. والوجه في ذلك: أن احتمال حقانية الدين يكون على وجهين:

أولياً قبل البحث والتثبّت اللائق بأهمية المحتمل:

١. أن يكون احتمالاً أولياً قبل البحث والتثبّت اللائق بأهمية المحتمل وآثاره الخطيرة، وهو المعبّر عنه بـ(الاحتمال غير المستقر).

٢. أن يكون احتمالاً ناتجاً عن البحث والتثبّت؛ حيث يستقرّ الإنسان على الشك بعد رحلته في طلب الحقيقة والبحث عنها والعناء في سبيل إدراكها، وهو المعبّر عنه بـ(الاحتمال المستقر).

ولكلّ من هاتين الحالتين حكمها حسب القانون الفطري..

[حالة الاحتمال قبل الفحص]:

أمّا في حال الاحتمال غير المستقر: فقد مرّ -في حلقة سابقة- أنّ قيمة هذا الاحتمال هي قيمة ما يمكن أن يبلغه من درجات على تقدير الفحص والتحرّي؛ فإذا كان المرء يحتمل أن يبلغ احتماله إلى درجة العلم -مثلاً- كان قيمة احتماله قيمة العلم، ولم يكن معذوراً.

ولذا، لا شكّ في القوانين الحديثة أنّ مَن أهمل مراعاة التشريعات المنشورة بشكل رسمي لم يكن معذوراً، كما أنّ مَن همل الاطلاع على الإنذار القضائي الصادر بحقه في الجرائد الرسمية يعتبر بحكم المطلع؛ فلو نشر استدعاء الشخص ولم يحضر صدر عليه الحكم غيابياً[1].

وهكذا يتّضح أن لا معذورية للمحتمِل في هذه الحالة؛ فعليه أن يتثبّت، أو يأخذ حذره من واقعية المحتمل -إن كان ذلك ممكناً-.

ولا فرق في هذا المعنى بين أن تكون قيمة المحتمل من باب الحكمة أو من باب الفضيلة:

١. أمّا إذا كانت قيمة المحتمل من باب الحكمة -تحصيلاً للنفع وتوقّياً عن الضرّر-؛ فإنّ الضرر المحتمل الخطير قبل البحث عنه وتحرّيه مما لا شك في لزوم التحرّز عنه بحكم الفطرة.

٢. وأمّا إذا كانت قيمة المحتمل من باب الفضيلة -كما هو الحال في الإيمان بالله تعالى والإذعان به، شكراً لنعمه وتقديراً لإنعامه-؛ فلأنّ معنى الكفران والعقوق يرتسم في حالة الجهل المتعمّد؛ فمَن أعرض عن معرفة الخالق ورسالته وأنبائه عن عمد كان ذلك كفراناً منه لنعمه.

ويمكن تشبيه هذا الشخص المُعرض بمَن يتعامل مع شخص - يحتمل أن يكون أباه الذي

(١) كما لا شكّ بين العلماء الأصول-على العموم- في أنه لا يمكن إجراء البراءة عن التكليف المحتمل قبل البحث عن الحجة.

أولده وربّاه واعتنى به، ولا يزال يرتع فيما يتمتع به من إمكانات بين نعمه- على أنه أجنبي عنه وليس صاحب نعمة عليه؛ فلا يعتد به، ولا يهتم بمعرفة انتسابه إليه -حتى يذعن بأبوته، ويشكره على إنعامه، ويتواضع له إزاء معروفه-؛ فإنه لا شك في أنّ مثل هذا الشخص يعدّ عند العقلاء عاقّاً لأبيه -إذا كان ذاك أباه فعلاً-.. هذا مع اختلاف المستوى في هذا المثال عن الأمر في شأن الله تعالى اختلافاً هائلاً.

وعليه: فإنْ صحّت الرؤية الدينية فإننا في محضر الله سبحانه وتعالى، وهو يحبّنا-لأننا مخلوقاته-، ويحبُّ منّا مراعاة الأدب معه، والشكر لإنعامه، وهو يشهد تصرفاتنا وسلوكياتنا تجاهه؛ فلو لم نتعرّف عليه كان ذلك نكراناً لجميله.. فإنّ أوّل مراتب العرفان للجميل المعرفة والإذعان لفاعله بأنّه صاحب النعمة.

وقد وردت أحاديث لطيفة في بيان محبّة الله سبحانه وتعالى لعباده منها حديث مروي عن رسول الله ﷺ: «لله أشدُّ فَرَحاً بتوبةِ عبدِهِ المؤمنِ مِنْ رَجُلٍ في أرضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ مَعَهُ راحِلَتُهُ عليها طعامُهُ وشرابُهُ، فنَامَ فاستيقظ وَقَدْ ذهبَتْ، فطَلَبَهَا حتّى أدْرَكَهُ العَطَشُ، ثمّ قال: أرجِعُ إلى مكاني الذي كُنْتُ فيه، فأنامُ حتّى أموتَ، فوَضَعَ رأسَهُ على ساعِدِهِ ليمُوتَ، فاستيقَظَ وعِندَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيهَا زادُهُ وطعامُهُ وشرَابُهُ، فاللهُ أشدُّ فَرَحاً بتوبةِ العبدِ المؤمنِ من هَذَا براحلته».

فإذا كان الله -سبحانه وتعالى- مع خلقه على هذه الصفة، كان عدم التثبّت في شأنه -في مَن يحتمل ذلك عقوقاً محتملاً- جديراً بالتجنب.

ثم إنه إذا كان من المحتمل في شأن الله -كما جاء في الرؤية الدينية- أنه -سبحانه- يحب الفضائل ويكره الرذائل، وقد بعث رسولاً إلى العباد.. فكيف يصح للإنسان أن يعرض عن التحقّق حول رسالة الله، ويتمسّك بما شاء من العقائد، ويسير على ما سار من الأعمال؟ -لاسيما إذا كان قد توصل إلى وجود الله، ولكنّه يشك في الرسالة (كالربوبيين)-؛ فإن هذا انتهاك عظيم لحقه المحتمل إذا كان ثابتاً، كما ورد في الآيات: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وعليه: فلا ينبغي للإنسان أن يبقى على الاحتمال غير المستقر؛ بل عليه أن يتثبت ويحذر من مطابقة هذا الاحتمال للواقع.

وينبغي أن يُلاحظ أنّ الاحتمال لا يخرج عن كونه غير مستقر بمحض الاطلاع على مؤشر أو مؤشرات نافية أو موجبة للتوقف -يقف عليها الشخص في هامش اهتماماته في الحياة-؛ فإنّه لابدّ في الاحتمال غير المستقر من استيفاء المؤشرات المحتملة والجدّ في متابعتها.

ولكن المشكلة أن الإنسان قد يريد أن لا يبرح مكانه ونمط فكره وحياته، ويصعب عليه أن

يهاجر في تأملاته وتطلعاته وأبحاثه لطلب الحقيقة والاهتمام بها، حتّى كأنه يبحث عن المعاذير التي تبرّر لنفسه مآربها أو تكاسلها.

[حالة الاحتمال بعد الفحص]:

وأمّا إذا كان احتمال حقانية الدين من قبيل الاحتمال المستقر فعلاً؛ بأن أصبح الشخص ـ بعد رحلته في سبيل الحقيقة ـ شاكاً واقعاً ومتحيراً في صدق الدين وعدمه..

فالصحيح: أنّ الموقف الفطري يقتضي أن يعتدّ المرء بالرؤية الدينية في هذه الحالة، ويأخذ حذره تجاه احتمال واقعيتها؛ وذلك من جهة خطورة المحتمل، سواء بالنظر إلى مقتضى الحكمة أم بالنظر إلى مقتضى الفضيلة..

١. أمّا بالنسبة إلى مقتضى الحكمة: فلما سبق من أنه يقتضي معرفة الإنسان بالحقائق الكبرى؛ لما لها من آثار خطيرة ينبغي أن يحذر المرء من مضاعفاتها ويأخذها بنظر الاعتبار.

٢. وأمّا بالنسبة إلى مقتضى الفضيلة: فالأمر كذلك؛ فإن عظمة حق الخالق والمنعم -المحتمل حسب الفرض- يقتضي الاهتمام به، وتجنب ما يكون عقوقاً وكفراناً بالنسبة إليه. والواقع أن مَن وعى حقيقة المحتمل وخطورته وتأمّله بنحو حيوي لا يمكن أن يجادل في هذا الأمر.

وإذا كنّا نجد بعض الناس يقرّون بأنهم يحتملون حقانية الدين لكنّهم لا يعبَؤون بهذا الاحتمال، فهُمْ في الحقيقة يتكلمون بنَفَس المنكر المستبعد لهذا الاحتمال، أو ينطلقون من عدم الوعي له؛ فإن الإنسان متى لم يتلق أمراً تلقّياً واعياً وحيوياً وجاداً استهان به وهان عليه، وهذا من المحاذير الفكرية التي يبتلي بها الإنسان -على ما سيأتي توضيحه في قواعد التثبّت-.

ولعلّ هذا يفسّر ما ادعاه بعض مَن أنكر الدين: من أنّ هناك جمعاً غير قليل من الناس في الغرب يشكّكون في حقّانية الدين ولكنه لا يبدي ذلك ويجري في ظاهر ما يبديه على الإيمان.

فلو صحّ هذا الادّعاء، فمن الممكن أن يكون من عوامل هذه الظاهرة هو الفاعلية الارتكازية الباطنة لاحتمال حقانية الدين، مما يوجب رعاية شأن هذا المحتمل.

ولا ينافي ذلك إنكار بعض آخر ممّن بحث في هذا الموضوع فنيّاً لفاعلية هذا الاحتمال؛ لأن من المعاني الارتكازية ما يكون بدرجة من الظرافة بحيث يخطِئُه البحث الفنّي إذا لم يملك الباحث الأدوات الفنية الكافية لتشخيص الموضوع أو اقترن بضعف الشعور الارتكازي؛ فإن ذلك يؤدي إلى استسلام الباحث للعجز النفسي بسرعة ويجري على خلاف الارتكاز الإجمالي.. وهذه حالة معروفة وسيأتي توضيحها في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

إذن: احتمال حقّانية الدين احتمال مستوجب للاهتمام.

[إشارة القرآن إلى قيمة احتمال صدق الدين]:

وقد يشير إلى ما ذكرنا -من أنّ من المناسب عناية المرء باحتمال صدق الدين- بعض الآيات القرآنية..

١.الآيات التي دلّت على أن مَن كان يرجو بقاءً بعد هذه الحياة ولقاءً لله سبحانه ينبغي عليه -بحكم العقل- أن يتجنّب الشرك ويعمل صالحاً، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

فيقال: إنّ التعبير بالرجاء إنما يكون في الأمر المحتمل دون المتيقن؛ فوقوع التعبير في الآية الشريفة إنما هو لنكتة بلاغية: وهي الإشارة إلى أن الرجاء كافٍ في تحفيز الإنسان على العمل الصالح وتجنب الشرك بالله فيما لا دليل على مشاركته إياه في الألوهية.

ومثل هذا التعبير جارٍ في الاستعمالات؛ فإن المرء قد يعبر بالظن والرجاء والاحتمال في مواضع العلم كأسلوب بلاغي للإشارة إلى الاكتفاء بذلك؛ فيقال -في الردع عن أمر يعلم المخاطب بضرره أو الترغيب إلى أمر يعلم بنفعه-: (ألا تظن كذا) و(ألا تحتمل كذا) و(ألا ترجو كذا)..

٢.الآيات التي عُلّل فيها عدم اهتمام الكفّار بأنباء الدين وحقائقه باليأس منها، كقوله تعالى: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾، وفي ذلك نحو دلالة على أن عدم الاهتمام بتلك الحقائق إنما يناسب اليأس الجازم منها، ولو كان للمرء رجاء قليل كان من الحكمة الاهتمام بها.

٣.وقد تستفاد الإشارة إلى هذا المعنى أيضاً ممّا وقع فيه التعبير بالظن في بيان اعتقادات المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وهذا وارد إذا كان المراد بالظن في مثل هذه الآية ما يقابل اليقين، كما وقعت المقابلة بينهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

وعليه: فيكون في التعبير بالظن إشارة إلى أن الظن بملاقاة الله سبحانه وتعالى والرجوع إليه كافٍ في ترتيب الأثر اللائق، والاعتناء بالرسالة التي أتى بها الأنبياء عليهم السلام.

وقد يحتمل أن لا يكون الظن في الآية بالمعنى المقابل لليقين، بل يكون بمعنى الاعتقاد غير الحسي؛ فلا يكون التعبير به مشيراً إلى هذه النكتة بطبيعة الحال.

٤.وقد يستفاد هذا المعنى أيضاً من أسلوب

التعبير في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ فيقال: إن هذا الأسلوب إشارة إلى أنه ينبغي لهم الاكتراث باحتمال حقانية المدعي للرسالة.

[مبنى نفي قيمة احتمال حقانية الدين ومناقشته]:

ولكن هناك من ظن أن احتمال حقانية الدين لا قيمة له، ولا يجب على صاحبه الاعتبار به.

وممّا يمكن أن يستند إليه هذا الموقف: المناقشة في أحد الأركان الثلاثة للمعادلة الفطرية المتقدّمة في العناية بالاحتمال، وهي: الاحتمال والمحتمل والمؤونة.

أما ركن الاحتمال، فقد يُقال: إنه قاصر؛ لأن احتمال حقّانية الدين ليس بصالح للفاعليّة؛ لأن المطلوب في الدين هو التصديق والإيمان، وهو لا يتأتّى من الشاك، ولو أظهر التصديق بالدين لم يكن ذلك من حقيقة الإيمان المطلوب في الدين في شيء.

ولكنّ الواقع أن الاعتبار بالرؤية الدينية ورعاية صدقها لا يتوقّف على اليقين القلبي، بل يتأتّى في حال الظن والاحتمال أيضاً.

وأما ركن المحتمل، فقد يُقال: إن المحتمل من قبيل التكليف الشرعيّ، ولا يجب الاعتناء بالتكليف الشرعيّ المحتمل ما لم يبلغه المشرّع إلى المكلف حسبما يقضي به العقل الفطري، والمفروض في من استقر على الشك عدم بلوغ الحجة إليه بحيث يوجب بتّه بالتكليف.

ولكنّ الصحيح أن المحتمل في مورد الدين أمر خطير؛ ومن شأن الاحتمال بحسب القانون الفطري أن يكون فاعلاً إذا كان المحتمل خطيراً، كما نجد عليه سيرة العقلاء.

وأمّا ركن المؤونة، فقد يُدّعى أن لرعاية الدين مؤونة كبيرة على الإنسان من جهات عدّة أهمها: أنه يوجب تهديد التعايش السلمي الإنساني من جهة العصبيّات الدينية.. كما نجد أمثلة لذلك.

ولكنّ الواقع أن الدين والرؤية الدينية ليس هو المسؤول عن السلبيات المتولّدة في المجتمع باسمه؛ وإنما هي ناشئة عن مزاجيّات غير معتدلة أو عن استغلال للدين في جهة المصالح الشخصيّة، أو عن الجهل به وبتعاليمه، بل الدين معين للإنسان على الحياة الفاضلة والسليمة.

ولا بدّ من توضيح القول في شأن كلّ من هذه الأركان بعض الشيء تحرّزاً عن الإبهام.. وسيأتي توضيح ذلك في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى..

الدين هدف الفطرة القويمة

الشيخ محمد أمين زين الدين

الدين هدف الفطرة القويمة وهي تتعلق بقوة كبرى يستمد منها كل قوي، وقدرة غالبة يتصاغر عندها كل قادر، وعلم محيط يقبس من نوره كل عالم، وكمال تامّ مطلق يفتقر إليه كل كامل.

وقد جهد علماء تأريخ الأديان ففحصوا الآثار الباقية من تراث الإنسان القديم، وفحصوا الأجناس البدائية الموجودة من بني الإنسان، وفحصوا أحوال الطفل وأفعاله في سنيه الأولى، ودأبوا في الفحص وفي المقارنة بين النتائج، وثبت لدى كثير منهم ثبوتاً لا يقبل الشك والمناقشة: أن التديّن غريزة، وأن التعلق بالغيب الأعلى حكم الفطرة

وإثبات هذه الحقيقة من هذا السبيل شاقّ مجهد، تستبعده العامّة من الناس، وتستغلي ثمنه، وللقرآن الكريم – في إثباتها– مسلك هو أقرب وأيسر وأسرع لتحصيل اليقين، وأبعد عن التشكيكات التي يوجّهها بعض الافكار نحو المسلك المتقدم الذي اعتمده علماء تاريخ الأديان.

والقرآن يقرّر أنها حقيقة عامة، تشمل جميع أصناف البشر، من سلف منهم ومن يأتي، واقرأ – ان شئت– قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

أسمعت؟ إنه اعتراف طبيعي فطريّ عامّ، تقرّ به الموجودات لخالقها، وتشهد بربوبيته، وتذعن بالانقياد لأمره، وأنها ركيزة الإيمان في جبلّة الإنسان، وقد أودعها الله فيه لتكون دليلاً له على الحقيقة الكبرى: حقيقة الربوبية.. تسوقه الى الاعتراف بها، وتمنعه عن الغفلة عنها، وتدفعه إلى الجدّ في طلب الدلالة عليها، هذا ما تقوله الآية الكريمة.

إن المرء قد تزيغ بفكرته الأهواء عن سواء الصراط فيلحد، وقد تميل به الأوهام والأساطير والمؤثرات فيشرك، ولكن لن يغفل – أبداً – عن اصل الفكرة، وإن بعدت به بدائيته عن المدنية، بل وإن شردت به المدنيات الكافرة عن الدين، وهذه الركيزة التي أودعت في جبلّة الإنسان هي التي تمنعه عن الغفلة، وبها يقيم الله الحجة عليه فيقطع معاذيره.

إنها ثابتة في سريرة كل فرد، فعلامَ يذهب بعيداً في طلبها والفحص عن آثارها؟!.

علامَ يضرب في بطون التاريخ. ويبحث في مجاهل الغابات وصوامت الآثار؟!.

إنها قائمة بين جوانحه، فليطلبها هنا إذا أراد الوقوف عليها.

وقد استقصى الإنسان غرائز الحيوان وحاجات النبات والمعادن[1]، وأحصى ضرورات كل صنف وكل فصيلة منها، فعلامَ يتجاهل غرائز نفسه، ويتقصّى الاخبار والآثار في التماس الدليل البين عليها؟!.

وأمر الفطرة، وأمر الغريزة أبين من ذلك وأوضح. والحيوان والنبات والمعادن ذاتها لا تلتبس عليها غرائزها، ولا ترتاب

(١) ما يضطر اليه الكائن لوجوده أو كماله أو لبقاء نوعه، ثم ينساق نحوه باقتضاء من طبيعته يسمى غريزة في الإنسان والحيوان، ويسمى حاجة في النبات والمعادن.

في احكامها، ولا تتردد في الاستجابة لها، وابن آدم وحده هو الذي يرتاب في امر نفسه ويطلب الدليل عليه.

ذلك أن بعض التقاليد والعادات قد تكون عميقة الجذور في المجتمع، فيكتسب -من أجل ذلك- قيمة اجتماعية كبيرة، ويكون لها -بتبع ذلك- رصيد مكين في نفوس الأفراد، ويلتبس على الناس أمرها بالغريزة، ويفتقرون في تمييزها عنه إلى الدليل.. إلى فحص ظواهرها عند الأجناس البدائية الموجودة، وإلى فحص الآثار الباقية التي تدلّ عليها عند الإنسان القديم، وإلى فحص شواهدها من أفعال الطفل الصغير، فإن هذه الأصناف أقرب الى الفطرة، وسلوكها وأعمالها أدلّ ما يكون عليها.

***

مسلك القرآن لإثبات غريزة الدين

ومسلك القرآن لإثبات غريزة الدين: أن يجرّد الإنسان عما يعارض الفطرة، أو يميل بها، أو يرين عليها، تجريداً كاملاً، بحيث يتركه لجبلَّته وحدها، ليستمع بنفسه حكمها الصريح فيها.

والشدائد التي تنوب الإنسان في هذه الدار، والمضائق التي يقع في لهواتها هي التي تفرده إلى فطرته الأصلية المؤمنة، فلا يجد إلّا حكمها، ولا يعي إلّا نداءها.

نعم، وفي ظلمة هذه الشدائد، وفي ضيق هذه المعاطب يحسّ المرء إحساساً قوياً أن شعاع الايمان، وروح الأمل يندفقان – معاً – في قلبه من ينبوع فطرته.

وكلما كانت الطارقة أمضّ ألماً، وأشد وقعاً، كانت الفطرة تحت ضغطها أصرح قولاً، وأرفع نداءً.

والقرآن يصوّر هذه الحالات الطارئة في كثير من آياته، ويحضر للإنسان هذا الواقع الوجداني، حتى يكاد يحسّه إحساساً، ويستمع حكم فطرته فيه، ولا يمتري ولا يرتاب.

فقال في سورة الإسراء مثلاً: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٦، ٦٧].

وقال في سورة النحل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤].

والسياق في كلا القولين الكريمين

متشابه متماثل، والمقصد الأول فيهما هو تعريف الإنسان أن الله -وحده- مصدر كل خير يصل اليه، وهو كافي كل سوء يصرف عنه، فهو موئله في كل حالاته، ليس له ملجأ سواه، ولا مدبّر لأمره غيره، والنعماء والضراء -اللتان يتقلب بينهما المرء طوال حياته- كلتاهما سبيل له إلى معرفة ربّه وايقانه بتدبيره، وتقلّبه بينهما -راضياً كان أم آبياً- دليل لا مفر للإنسان من قبوله على أنه عبدٌ خاضع لا يملك نفعاً ولاضراً، الا أن يريده له ربه فيقدره عليه، وييسّر له أسبابه.

وازجاء الفلك في البحر لتبتغي من فضله نعمة ورحمة، يتوقّف إيجاده على تسخير مئات من قوانين الكون، وتيسير مئات من قواه وطاقاته، ثم تفهيم الإنسان كيف يفيد من كل أولئك.

ومسّ الضر للفلك التي تجري في البحر يكفي لحصوله أن يتَبدّل أحد هذه القوانين التي سخّرتها يد القدرة، او تنقص إحدى هذه الطاقات، وتبدل القوانين، وانتقاص الطاقات، لا يكون كذلك إلّا بأمر، ولا يكون الاّ لاستدعاء نظام كونيّ غالب، واقتضاء سنّة طبيعية ثابتة.

أقول: ومسّ الضر للفلك يكفى لحصوله أن يتبدل قانونٌ واحد من مئات القوانين المسخرة، أو ينتقص طاقة من مئات الطاقات المسيّرة، فاذا البحر ظلام قاتم، وموج متراكم، وأعاصير وشدائد تعمى فيها الجهات، وتوصد أبواب النجاة.

وفي سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

وصوت الفطرة السليمة، وتعلقها بإله الكون القادر القاهر، لا يخفت أبداً، ولا ينقطع في حال، ولكنه يتضح للإنسان وضوحاً كاملاً عند وقوعه في أمثال هذه الغمرات.. حين يخمد في وعيه كل صوت للحياة إلا صوت الفطرة، وحين تنقطع عنه كل صلة إلّا صلته بربّه، وحين ينبتّ كل أمل بيديه إلا أمله الله وإغاثته.

***

[رسالات السماء]

وجوب عصمة الإمام

الشيخ مقداد بن عبد الله السيوريّ

...ودليل وجوبها من وجوه:

١- لو لم يكن معصوماً لزم التسلسل، واللازم باطل، فكذلك الملزوم.

٢- بيان الملازمة: أنّ علة حاجة المكلفين الى نصبه ليس إلّا عدم عصمتهم، فلو كان غير معصوم لاحتاج الى إمام آخر ويتسلسل أو ينتهي الى إمام معصوم، وهو المطلوب.

لا يقال: نمنع احتياجه الى إمام آخر عند عدم عصمته، بل ذلك مع عدم مانع آخر من إقدامه على المعصية، أمّا مع وجوده كخوف العزل مثلاً فلا.

سلّمنا لكن لِمَ لا يكون هو لطفاً لكل واحد من الامّة ومجموع الامّة لطفاً له، ولا يلزم الدور لاختلاف جهة التوقف؟

سلّمنا لكن ينتقض ما ذكرتم بالنائب البعيد، فإنّه يشارك الإمام في نفوذ حكمه على غيره وعدم نفوذ حكم غيره عليه، لعدم علم الإمام بالغيب، مع أنّه ليس بواجب العصمة.

لأنّا نجيب: عن الأوّل: بأنّ من عرف العوائد عرف أنّ الرعية لا يتمكّنون من عزل واحد من الامراء الظلمة، فكيف يتمكّنون من عزل حاكم الحكام؟

سلّمنا أنّ الخوف مانع، لكن في المعاصي الظاهرة لا مطلقاً، والإمام لطف في المعاصي الظاهرة من حيث عصمته وسياسته، وفي الباطنة من حيث عصمته فقط، فإنّ اعتقاد كلّ واحد عصمة الإمام مطلقاً يكون لطفاً له في الامور الباطنة ومرغّباً في إضمار الخير، إذ لو جوّز إضمار الامام الشرّ لكان أقرب الى مثله.

وعن الثاني: بأنّه واحد من الامّة، فلو جاز كون المجموع لطفاً له، لجاز في غيره كذلك، وحينئذٍ لا حاجة الى الامام، وأيضاً مجموع الامّة غيره ليس بمعصوم اتفاقاً، أمّا عندنا، فظاهر، وأمّا عند الخصم، فلخروج الامام عن ذلك المجموع والباقي جائز الخطأ، فلا يكون لطفاً.

وعن الثالث: بأنّ الفرق حاصل بينهما، فإنّ النائب غير محكوم عليه في الحال ويتوقع المؤاخذة في الاستقبال، والإمام غير محكوم عليه مطلقاً.

الوجه الثاني: كلّما وجب أن يكون للشرع حافظ وجب عصمة الإمام، لكن الملزوم ثابت إجماعاً فكذا اللازم.

بيان الملازمة: أنّ الحافظ ليس هو الكتاب ولا السنّة، لكونهما غير وافيين بكلّ الأحكام، وأيضاً هما محتملان للوجوه المختلفة، وذلك مؤدٍّ الى الاختلاف. ولا الاجماع؛ لعدم حصوله في الكل، ولأنّه إن لم يشتمل على المعصوم فليس بحافظ، لجواز الخطأ على كلّ واحد فيجوز على المجموع، وإن اشتمل فهو الحافظ في الحقيقة وغيره هذر، ولأنّ كون الإجماع حجة نقلي، وإلّا لكان كلّ إجماع حجّة، فيتوقّف النقل على حافظ، فيدور. ولا القياس لابتناء شرعنا على تفريق المتماثل وجمع المختلف؛ ولا البراءة الأصلية، وإلّا لارتفعت الأحكام، فتعيّن الإمام فيكون معصوماً، وإلّا لما أمن من التغيير والتبديل.

٣- لو لم يكن معصوماً لجاز عليه الخطأ فلنفرض وقوعه، فأمّا أن ينكر عليه فيسقط محلّه من القلوب، فيضاد الأمر بطاعته، ويفوت الغرض من نصبه، ويلزم انحطاط درجته عن أقلّ العوام لكون عقله وعلمه أكمل من غيره، فلو وقعت المعصية منه لزم أن يكون أقلّ منهم، واللوازم محالة، فكذا

الملزوم.

إن قلت: ذلك كلّه لازم من الوقوع، والجائز لا يكون واقعاً.

قلت: اللطف الباطني لا يتم مع الجواز...

٤- غير المعصوم ظالم، ولا شيء من الظالم بصالح للإمامة، فغير المعصوم ليس بصالح للإمامة، وهو المطلوب.

بيان الصغرى: أنّ الظالم يضع الشيء في غير موضعه، وغير المعصوم كذلك.

وأمّا الكبرى؛ فلقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، والمراد عهد الامامة؛ لقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

لا يقال: المراد عهد النبوة فلا يلزم المطلوب، سلّمنا لكن لا يناله حال ظلمه لا مطلقاً ومرادكم هو الثاني.

لأنّا نجيب:

عن الأوّل: أنّ الإمامة تطلق على معنيين: عام يشمل النبوّة- كما تقدّم-، وخاص وهو هذا الباب، فإن كان المسلوب عهد الاولى، كان سلباً للعام، وهو ملزوم لسلب الخاص فيحصل المطلوب، وإن كان عهد الثانية فالمطلوب حاصل.

وعن الثاني: قد تقرّر في المنطق صدق عنوان الموضوع لا بشرط أن يكون دائماً، بل إمّا حال الحكم أو قبله أو بعده، فيحصل المطلوب.

[اللوامع الالهية: ص٣٢٦]

أوراق علمية

وقت نية الوضوء

الشيخ محمّد حسن الجواهريّ

(ووقت النية) استحباباً (عند) ما استحب من (غسل الكفين) للوضوء كما في الوسيلة والمعتبر والمنتهى والتحرير والقواعد، بل في البيان أنه المشهور، وجوازاً كما في الدروس والذكرى والروض وغيرها، وعلى كل حال فالمستند أنه أول أجزاء الوضوء الكامل، فتصح مقارنة النية له، إذ لا دليل على وجوب مقارنتها للواجب لكون الاجماع محصلا ومنقولا، وقوله عليه السلام: «**لا عمل إلا بنية**» وآية الاخلاص وغيرها[1] أقصى ما توجب المقارنة لأول العمل لا الواجب منه، بل لعل مقتضاها إيجاب المقارنة للأجزاء المندوبة إذا أريد تحصيل الفرد الكامل المشتمل عليها، لأن إفرادها بالنية مع كونها بعض العمل كوقوع النية عند غسل الوجه وهو وسط العمل حقيقة لا أوله لا يخلو من تأمل ونظر، لكن ذلك كله موقوف على ثبوت جزئية غسل اليدين من الوضوء. ولم يثبت بل لعل ظاهر الأدلة يقضي بخلافه، ونفي الخلاف عن كونه من سنن الوضوء أعم من الجزئية، واحتمال الاكتفاء بذلك وإن يثبت الجزئية لا وجه له، وإلا لجاز التقديم عند غير ذلك من مستحبات الوضوء كالسواك والتسمية مع أنه غير جائز كما نص عليه جماعة، بل في الروض الاجماع عليه، ولذلك كله خص ابن إدريس في ظاهره جواز التقديم هنا عند المضمضة والاستنشاق كما عن الغنية، بخلاف غسل الجنابة فجوز التقديم عندهما، وهو حسن، لكن اعترضه بعض بأن الفرق بين الوضوء والغسل تحكم، وآخر بعدم ثبوت جزئية المضمضة والاستنشاق أيضاً.

وقد يدفع الأول بملاحظة أخبار الغسل[2] فإنها ظاهرة في كون غسل اليدين جزءاً مستحباً

(١) سورة الزمر – الآية ٢ – وسورة البينة – الآية ٤.

(٢) الوسائل – الباب – ٢٦ – من أبواب الجنابة.

لمكان ذكره في كيفية الغسل بخلافه هنا، وكذا الثاني بملاحظة أخبار المضمضة والاستنشاق[1] فإنه وإن اشتمل جملة منها على كونهما ليسا من الوضوء لكن ذلك محمول فيها على واجباته جمعاً بينها وبين ما دلَّ على كونهما من الوضوء. فظهر أنّ قول ابن إدريس هو الأقوى في النظر، وبذلك كله تعرف ضعف ما ينقل عن ابن طاووس من التوقف في التقديم، نظرا إلى أن مسمى الوضوء الحقيقي غيرهما، وللقطع بالصحة إذا قارن عند غسل الوجه، وهما كما ترى لاسيما الثاني، إذ القطع لا يمنع الاكتفاء بالغير مع الظن من الأدلة الشرعية.

وكيف كان فبناء على جواز التقديم عند غسل اليدين ينبغي الاقتصار على الغسل المستحب للوضوء، كما إذا توضأ من حدث البول أو الغائط أو النوم واغترف من إناء لا يسع كراً ونحو ذلك على ما ستعرف إن شاء الله تعالى، فلا يجوز عند الغسل المباح، كما إذا كان الوضوء من الريح مثلا أو المحرم أو المكروه أو المستحب لغير الوضوء أو الواجب له كما إذا كانت اليد نجسة، وإن احتمل الجواز في الأخيرة لكونه أولى من الندب إلا أن الأقرب المنع لعدم كونه من أفعال الوضوء.

(ويتضيق عند) أول (غسل الوجه) ولا يجوز تأخيرها، لاستلزام وقوع بعض العمل حينئذ بلا نية، كما أنه لا يجوز تقديمها مع الفاصلة على جميع أجزاء العمل، لما فيه من تفويت المقارنة مع اعتبارها في أصل النية أو أنها مقتضى ما سمعت من الدليل.

وما ينقل عن الجعفي من أنه لا بأس إن تقدمت النية العمل أو كانت معه ضعيف، أو أنه يريد التقدم مع المقارنة المعتبرة ثم الغفلة عنها، وبالمعية الاستدامة الفعلية، أو أنه يريد بالعمل الواجب منه بمعنى جواز تقديم النية عند غسل الكفين، أو أنه يريد بالتقدم ما لا يقدح في اعتبار المقارنة عرفا، فلا يوجب المقارنة الحكمية، كما عساه يظهر من جملة من عباراتهم، حتى أنهم وقعوا في الاشكال في كيفية مقارنة تمام النية لأول العمل، ووقع منهم بسبب ذلك أمور لا ينبغي أن تسطر، أو أنه يريد بيان كون النية هي الداعي لا الصورة المخطرة، فإنه حينئذ بناء على ذلك لا بأس في إيجاد الداعي سابقا على العمل أو مقارناً له، كما صرح به جماعة من القائلين بذلك. ومن هنا ظهر من بعضهم سقوط هذا البحث أعني بحث التقديم عند غسل الكفين بناء على كون النية هي الداعي لأنه مستمر، بل لا يصدر الفعل الاختياري بدونه. وكذا بحث الاستدامة كما ستعرف، لعدم الفرق حينئذ بين الابتداء والاستدامة في ذلك، وفيه نظر يعرف ممّا تقدّم في النية، وقد نشير إليه في الاستدامة إن شاء الله تعالى.

[جواهر الكلام: ج٢ ص١٠٣]

(١) الوسائل – الباب – ٢٩ – من أبواب الوضوء.

إثبات الوثاقة أو الحسن
في نص أحد الاعلام المتأخرين
زعيم الطائفة السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره

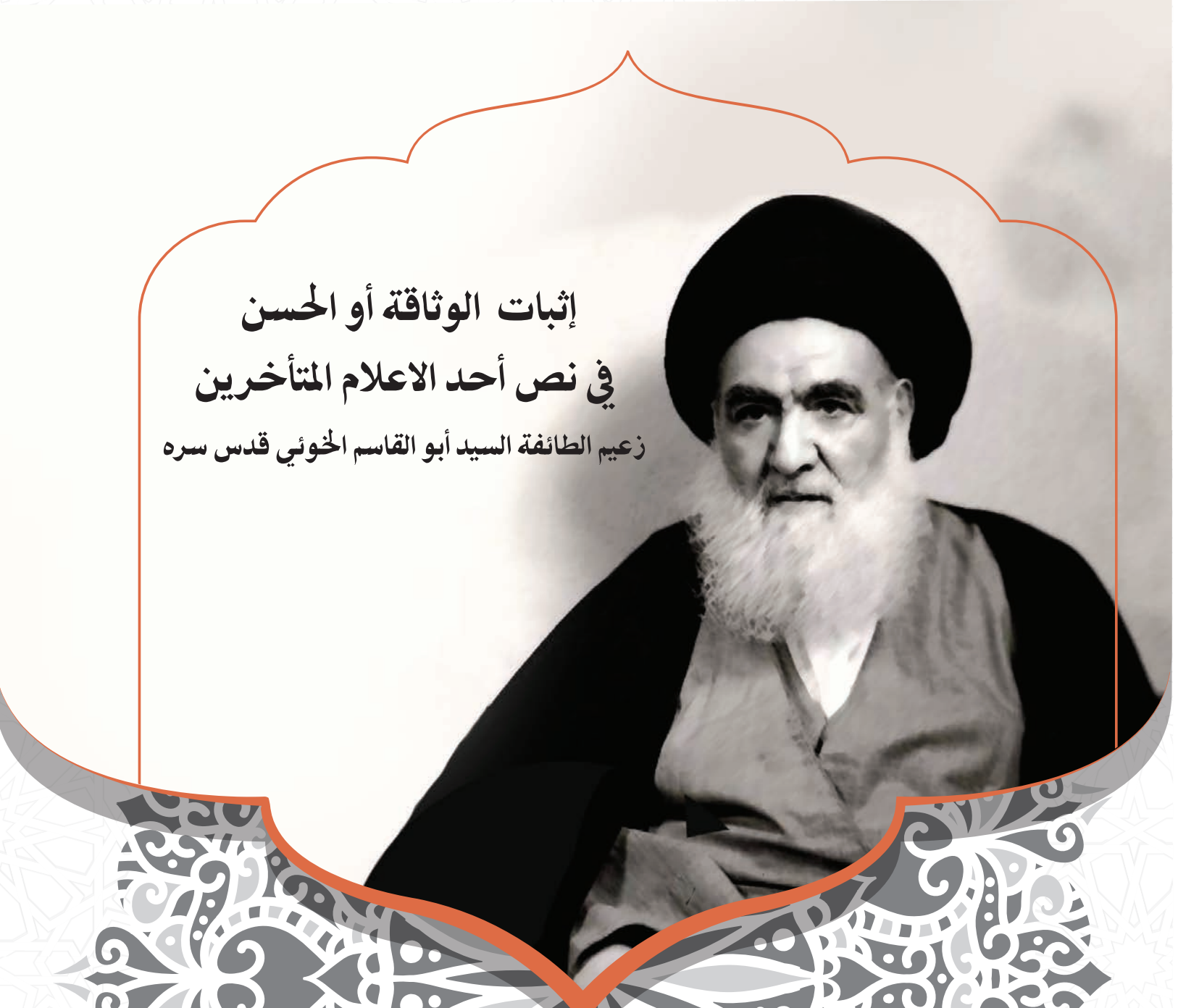

مما تثبت به الوثاقة أو الحسن، أن ينص على ذلك أحد الاعلام المتأخرين، بشرط أن يكون من أخبر عن وثاقته معاصرا للمخبر أو قريب العصر منه، كما يتفق ذلك في توثيقات الشيخ منتجب الدين، أو ابن شهر آشوب وأما في غير ذلك كما في توثيقات ابن طاووس والعلامة وابن داود ومن تأخر عنهم كالمجلسي لمن كان بعيدا عن عصرهم فلا عبرة بها، فإنها مبنية على الحدس والاجتهاد جزما.

وذلك: فإن السلسلة قد انقطعت بعد الشيخ، فأصبح عامة الناس إلا قليلا منهم مقلدين يعملون بفتاوى الشيخ ويستدلون بها كما يستدل بالرواية على ما صرح به الحلي في السرائر وغيره في غيره.

والذي يكشف عما ذكرناه أنهم حينما يذكرون طرقهم إلى أرباب الاصول والكتب، المعاصرين للمعصومين عليهم السلام يذكرون طرقهم إلى الشيخ، ويحيلون ما بعد ذلك إلى طرقه. فهذا العلامة ذكر في إجازته الكبيرة لبني زهرة طريقا له إلى الشيخ الصدوق، وإلى والده علي بن الحسين بن بابويه، وإلى الشيخ المفيد، وإلى السيد المرتضى، وإلى أخيه السيد الرضي ـ قدس الله أسرارهم، ثم ذكر طرقه إلى كثير من كتب العامة وصحاحهم وإلى جماعة من المتأخرين عن الشيخ قدس سره.

ثم قال: «ومن ذلك جميع كتب أصحابنا السابقين الذين تقدموا على الشيخ أبي جعفر الطوسي زمانا، مثل: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، والحسين بن سعيد، وأخيه الحسن، وظريف بن ناصح، وغيرهم مما هو مذكور في كتاب فهرست المصنف للشيخ أبي جعفر الطوسي برجاله المثبتة في الكتاب».

وهذا الشهيد الثاني في إجازته الكبيرة للشيخ عبد الصمد والد الشيخ البهائي بعد ما ذكر عدة طرق له إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي، قال:

«وبهذه الطرق نروي جميع مصنفات من تقدم على الشيخ أبي جعفر من المشايخ المذكورين وغيرهم، وجميع ما اشتمل عليه كتابه فهرست أسماء المصنفين وجميع كتبهم ورواياتهم بالطرق التي تضمنتها الاحاديث. وإنما أكثرنا الطرق إلى الشيخ أبي جعفر، لان أصول المذهب كلها ترجع إلى كتبه ورواياته».

وعلى الجملة: فالشيخ قدس سره هو حلقة الاتصال بين المتأخرين وأرباب الاصول التي أُخذ منها الكتب الاربعة وغيرها.

ولا طريق للمتأخرين إلى توثيقات رواها وتضعيفهم غالبا إلا الاستنباط، وإعمال الرأي والنظر.

ومما يؤكد ما ذكرناه من انقطاع السلسلة أن كتاب الكشي الذي هو أحد الاصول الرجالية ـ وقد حكى عنه النجاشي في رجاله ـ لم يصل إلى المتأخرين، فلم ينقلوا عنه شيئا، وإنما وصل إليهم اختيار الكشي الذى رتبه الشيخ واختاره من كتاب

الكشي.

وكذلك كتاب رجال ابن الغضائري.

فانه لم يثبت عند المتأخرين، وقد ذكره ابن طاووس عند ذكره طرقه إلى الاصول الرجالية أنه لا طريق له إلى هذا الكتاب. وأما العلامة ابن داود والمولى القهبائي فانهم وإن كانوا يحكون عن هذا الكتاب كثيرا إلا أنهم لم يذكروا إليه طريقا.

ومن المطمأن به عدم وجود طريق لهم إليه.

وهذا العلامة قد ذكر في إجازته الكبيرة أسماء الكتب التي له طريق إليها، حتى أنه ـ مضافا إلى ما ذكره من كتب أصحابنا المتقدمين على الشيخ والمتأخرين عنه ـ ذكر شيئا كثيرا من كتب العامة في الحديث والفقه والادب وغير ذلك. ومع ذلك فلم يذكر رجال ابن الغضائري في ما ذكره من الكتب. وهذا كاشف عن أنه لم يكن له طريق إليه، وإلا لكان هذا أولى بالذكر من أكثر ما ذكره في تلك الاجازة.

نعم إن الشهيد الثاني في إجازته المتقدمة، والآغا حسين الخونساري في إجازته لتلميذه الامير ذي الفقار ذكرا كتاب الرجال للحسين بن عبيد الله بن الغضائري في ضمن الكتب التي ذكرا طريقهما إليها.

فربما يستظهر من ذلك أن كتاب الرجال للحسين بن عبيد الله قد وصل إليهما وكان عندهما، ولكن واقع الامر على خلاف ذلك، فإن الشهيد قدس سره يذكر في طريقه إلى هذا الكتاب العلامة، وأنه يروي هذا الكتاب بطريق العلامة إليه.

وقد عرفت أن المطمأن به أن العلامة لا طريق له إلى هذا الكتاب.

هذا، مضافا إلى أن الشهيد يوصل طريقه إلى النجاشي عن الحسين بن عبيد الله الغضائري وهذا على خلاف الواقع، فإن الحسين بن عبيد الله شيخ النجاشي، وتعرض النجاشي لترجمته وذكر كتبه ولم يذكر فيها كتاب الرجال، بل لم ينقل عنه في مجموع كتابه شيئا يستشعر منه أن له كتاب الرجال، وكذلك الشيخ يروي عن الحسين بن عبيد الله كثيرا، ولم ينسب إليه كتاب الرجال، ولا ما يستشعر منه وجود كتاب له في الرجال.

والمتحصل: أن ما ذكره الشهيد الثاني من وجود طريق له إلى كتاب الحسين ابن عبيد الله فيه سهو بين.

وبذلك يظهر الحال في طريق الآغا حسين الخونساري، فإن طريقه هو طريق الشهيد الثاني.

ويروي ما ذكره من الكتب بطريقه إلى الشهيد قدس سره.

هذا حال كتاب الكشي، وكتاب ابن الغضائري المعدودين من الاصول الرجالية.

وأما باقي الكتب الرجالية المعروفة في عصر

الشيخ والنجاشي فلم يبق منها عين ولا أثر في عصر المتأخرين.

نعم قد يتفق أن العلامة وابن داود يحكيان عن ابن عقدة توثيقا لاحد إلا أنهما لا يذكران مستند حكايتهما.

والعلامة لم يذكر فيما ذكره من الكتب التي له إليها طريق في إجازته الكبيرة: كتاب الرجال لابن عقدة.

وقد تحصل مما ذكرناه أن ابن طاووس والعلامة وابن داود ومن تأخر عنهم إنما يعتمدون في توثيقاتهم وترجيحاتهم على آرائهم واستنباطاتهم أو على ما استفادوه من كلام النجاشي أو الشيخ في كتبهم، وقليلا ما يعتمدون على كلام غيرهما، وقد يخطئون في الاستفادة كما سنشير إلى بعض ذلك في موارده، كما قد يخطئون في الاستنباط، فترى العلامة يعتمد على كل إمامي لم يرد فيه قدح، يظهر ذلك مما ذكره في ترجمة أحمد بن إسماعيل بن سمكة وغير ذلك.

وترى المجلسي يعد كل من للصدوق إليه طريق ممدوحا ـ وهو غير صحيح ـ على ما نبينه عن قريب إن شاء الله تعالى، وعليه فلا يعتد بتوثيقاتهم بوجه من الوجوه.

دعوى الاجماع من قبل الأقدمين:

ومن جملة ما تثبت به الوثاقة أو الحسن هو أن يدّعي أحد من الأقدمين الأخيار الاجماع على وثاقة أحد، فإن ذلك وإن كان إجماعاً منقولاً، إلّا أنه لا يقصر عن توثيق مدّعي الاجماع نفسه منضماً إلى دعوى توثيقات أشخاص آخرين، بل إن دعوى الاجماع على الوثاقة يعتمد عليه حتى إذا كانت الدعوى من المتأخرين، كما اتفق ذلك في إبراهيم بن هاشم، فقد ادّعى ابن طاووس الاتفاق على وثاقته، فإن هذه الدعوى تكشف عن توثيق بعض القدماء لا محالة، وهو يكفي في إثبات الوثاقة.

[معجم رجال الحديث]

الفرق بين القاعدة الفقهيّة والقاعدة الاصولية

الشيخ محمد الفاضل اللنكراني

البحث في هذه الجهة يقع في مقامين:

المقام الأوّل: في الفرق بينهما بنظر العامّة:

فقد ذكروا للفرق بينهما وجوهاً خمسة، وأوّل من فرّق بينهما- على ما قيل[1] - هو شهاب الدين القرافي في كتابه المسمّى بالفروق[2].

الوجه الأوّل: أنّ الموضوع في القواعد الاصولية هو الأدلّة والأحكام، فإنّ القاعدة الاصولية حدّ وسط بين الأدلّة والأحكام، ويستنبط بها الأحكام من أدلّتها، بينما أنّ الموضوع في القواعد الفقهيّة هو فعل المكلّف.

الوجه الثاني: أنّ القواعد الاصوليّة كلّية، بخلاف القواعد الفقهيّة، فإنّها أغلبيّة.

الوجه الثالث: أنّ القواعد الاصولية آلة لاستنباط الأحكام الشرعيّة، بخلاف القواعد الفقهيّة، فإنّها عبارة عن حكم الجزئيّات المتشابهة المشتركة في علّة واحدة.

الوجه الرابع: أنّ القواعد الفقهيّة متأخّرة عن الفروع في الوجود الذهني والواقعي؛ لأنّها جمع أشتات وربط بينهما. وأمّا القواعد الاصوليّة فإنّها متقدّمة على الفروع؛ لتوقّف الاستنباط عليها.

الوجه الخامس: أنّ القواعد الاصوليّة امور استنباطية والأحكام تستنبط منها بخلاف القواعد الفقهيّة، فإنّها امور تطبيقيّة والفروع مندرجة تحتها[3]، ويرد على الأوّل: أنّ الموضوع في بعض القواعد الفقهيّة ليس فعل المكلّف كقاعدة «لا ضرر»، فإنّ الموضوع فيه هو الحكم الضرري بناءً على تفسير المشهور.

وعلى الثاني: أنّا قلنا سابقاً[4]: إنّ الاستثناء في القواعد الفقهيّة لا يدلّ على الغالبيّة، ولا ملازمة بين الاستثناء وبين كون القاعدة أغلبية.

(١) القائل هو النووي في القواعد الفقهيّة: ١/ ٦٧.
(٢) الفروق: ١/ ٥- ٦، خطبة المصنّف.
(٣) القواعد الفقهية للندوي: ٦٨- ٦٩ مفصّلاً.
(٤) في ص ٩- ١٠.

المقام الثاني: في الفرق بينهما بنظر الإماميّة.

فنقول: يستفاد من كلمات الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم وجوه ستّة.

الوجه الأوّل: ما يستفاد من بعض كلمات الشيخ الأعظم[1] وتبعه المحقّق النائيني[2] من أنّ نتيجة المسألة الاصولية نافعة للمجتهد فقط، بخلاف القاعدة الفقهيّة، فإنّها نافعة للمقلّد أيضاً، وبعبارة اخرى: إعمال القاعدة الفقهيّة مشترك بين المجتهد والمقلّد، وقد أورد عليه المحقّق الخوئي[3]: بأنّا نسلّم كون النتيجة في المسألة الاصولية نافعة بحال المجتهد فقط، ولكن لا نسلّم اشتراك النتيجة بين المجتهد والمقلّد في القاعدة الفقهيّة، فمثلًا أنّ قاعدة «ما يضمن بصحيحه يضمن بفاسده» من أيّ طريق يعلم المقلّد أنّ البيع مثلًا من العقود الّتي يكون في صحيحها الضمان؟ ومثلًا قاعدة «الصلح جائز بين المسلمين إلّا ما خالف كتاب الله» فمن أيّ سبيل يتوجّه المقلّد أنّ هذا الشرط هل هو موافق للكتاب أو مخالف له؟

والظاهر عدم ورود الإشكال؛ لأنّ المقصود من كون النتيجة نافعة للمقلّد، أنّه قادر على التطبيق، ومعنى هذا أنّ المقلّد بعد السؤال والفحص عن أنّ البيع من العقود الّتي يكون في صحيحها الضمان، يقدر على تطبيق القاعدة ويحكم بأنّ في فاسدها أيضاً الضمان.

وبعبارة اخرى: أنّه قدس سره يعتقد بأنّ القواعد الفقهيّة من باب تطبيق المضامين، ومن الواضح أنّ التطبيق غير مختصّ بالمجتهد.

الوجه الثاني: ما ذكره المحقّق النائيني قدس سره[4] من أنّ القواعد الاصوليّة متضمّنة للأحكام الكليّة الّتي لا ربط لها بالعمل بلا واسطة، بخلاف القاعدة الفقهية؛ فإنّها وإن كانت قد تكون متضمّنة للحكم الكلّي، إلّا أنّها تصلح لاستفادة الأحكام الجزئيّة منها في الموارد الجزئية، فمثلًا قاعدة «ما يضمن» تكون صالحة لاستفادة الضمان منها في البيع الشخصي المعيّن الفاسد، وبعبارة اخرى: أنّ الفرق بينهما من باب الفرق بين الكليّة- بمعنى عدم التعلّق بالعمل بلا واسطة- والجزئيّة، بمعنى التعلّق بالعمل بلا واسطة.

وفيه: أنّ اللازم بيان الفرق بين القاعدة الاصولية والفقهيّة، وما ذكره من الجزئيّة شامل للمسألة الفقهيّة أيضاً، وبعبارة اخرى: لسنا في مقام الفرق بين القاعدة الاصوليّة والفقهيّة فقط، بل في مقام الملاك لكون القاعدة فقهيّة، وما ذكره جار في المسألة الفقهيّة، مع أنّها ليست

(١) فرائد الاصول (تراث الشيخ الأعظم): ٣/ ١٨- ١٩.
(٢) فوائد الاصول: ٤/ ٣٠٩- ٣١٠.
(٣) محاضرات في اصول الفقه: ١/ ١٣- ١٤.
(٤) فوائد الاصول: ١/ ١٩ وج ٤/ ٣٠٩.

بقاعدة فقهية، فتدبّر، هذا مع تفسير الكليّة والجزئيّة بالمعنى الّذي ذكر على خلاف ما هو الظاهر منهما، مضافاً إلى أنّ بعض المسائل الاصوليّة قد تكون صالحة للاستفادة الأحكام الجزئيّة كالاستصحاب، فتأمّل.

الوجه الثالث: ما ذهب إليه المحقّق الخوئي قدس سره[1] من أنّ استفادة الأحكام الشرعيّة من المسألة الاصولية يكون على نحو التوسيط والاستنباط، بخلاف القاعدة الفقهيّة، فإنّ الأحكام الشرعيّة تستفاد منها على نحو التطبيق أي تطبيق الكلّي على الجزئي، وأشكل عليه الشهيد الصدر قدس سره[2] بإشكالين:

الإشكال الأوّل: أنّ مسألة الاستنباط موجودة في بعض القواعد الفقهيّة ولا تختصّ بالقواعد الاصوليّة، ولم يذكر قدس سره له مثالًا.

الإشكال الثاني: لو كان ملاك الفرق بينهما من هذه الجهة للزم أن يكون الخلاف بينهما ناشئاً من اختلاف كيفيّة طرح البحث في قاعدة، فمثلًا قاعدة أنّ «النهي عن الشيء هل يقتضي الفساد» لو طرحت بعنوان البحث عن الاقتضاء لكان البطلان مستنبطاً من الاقتضاء، وأمّا لو صيغت بأنّه هل العبادة المنهيّ عنها باطلة أو لا؟ فتأتي مسألة التطبيق، فهذا الإيراد يدلّنا على أنّ الفرق الجوهري بينهما شيء آخر، والاستنباط والتطبيق يكونان من آثاره، فتبيّن أنّ هذا الوجه أيضاً غير تامّ.

الوجه الرابع: أنّ القاعدة الاصوليّة يتمّ الاستعانة بها في جميع أبواب الفقه، بخلاف القاعدة الفقهيّة.

وفيه: أنّ بعض القواعد الفقهيّة مرتبط بجميع أبواب الفقه، فمثلًا قاعدة أنّ «علل الشرع معرّفات» بناءً على كونها قاعدة فقهيّة، وأيضاً قاعدة «لا ضرر» تجري في العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات. نعم، بعض القواعد الفقهيّة مختصّ بباب واحد.

الوجه الخامس: ما يستفاد من كلمات السيّد المحقّق الإمام الخميني قدس سره[3] من أنّ القواعد الاصولية آليّة، بخلاف القاعدة الفقهيّة، فإنّها استقلاليّة، وهذا الفرق متين جدّاً، ولكن لا يستفاد منه الملاك في كون القاعدة فقهيّة، فتأمّل.

الوجه السادس: أنّ الاستنتاج في القاعدة الاصولية غير متوقّف على القاعدة الفقهيّة، بخلافها، فإنّها متوقّفة على القاعدة الاصوليّة[4].

هذا، وهناك فروق أيضاً بينهما من جهة المصدر والمدرك فيهما...

(١) محاضرات في اصول الفقه: ١/ ١١.
(٢) بحوث في علم الاصول: ١/ ٢٢.
(٣) تهذيب الاصول: ١/ ٥- ٦.
(٤) الاصول العامّة للفقه المقارن: ٤٣.

اوراد فتحية

بقاء الشريعة بالحسين عليه السلام

السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم

لقد كانت نهضة الحسين الجزء الأخير من العلة التامة لاستحكام عروش الدين حيث إنها فرقت بين دعوة الحق والباطل وميزت أحد الفريقين عن الآخر حتى قيل: إن الإسلام بدؤه محمدي وبقاؤه حسيني، ولذلك لم يجد أئمة الهدى وسيلة لنشر أمرهم في الاصلاح ونفوذ كلمتهم في إحياء شرع جدهم الأقدس إلا لفت الأنظار إلى هذه النهضة الكريمة لما اشتملت عليه من فجائع تفطر الصخر الأصم ويشيب لها فود الطفل ويذوب الفؤاد فطفقوا عليهم السلام يحثون الأمة على تأييدها والقيام بذكر ما لاقاه شهيد الاصلاح من القسوة والاضطهاد واعلام الأمة بما حدث في تلكم المشاهد الدموية من مظلومية الحسين وأهله وذويه لأنهم صلوات الله عليهم علموا أن في اظهار مظلوميته مجلبة للعواطف واسترقاقا للأفئدة فبطبع الحال يتحرى السامع لتلكم الفجائع الوقوف على مكانة هذا المضطهد وأسباب ما ارتكب في حقه من أعمال قاسية.

وطبعا يعلم أن سبط النبوة إمام عدل لم يرضخ للدنيا ولم يصغ إلى دعوة المبطلين وأن إمامته موروثة له من جده وأبيه (الوصي) وأن من ناواه لا يملك من منصة الخلافة موضع قدمه وكذا كل من حذا حذوه وذهب على شاكلته.

وإذا عرف السامع هذا علم الحق كله في جانب الحسين ومن خلفه من أئمة الدين فلم تدع له عقليته إلا السير معهم واعتناق طريقتهم المثلى وبذلك تتوطد أسس السلام والوئام.

لقد أقعدت السلطة الغاشمة من بني أمية وبني العباس أهل البيت عليهم السلام في دورهم وأوصدت عليهم أبواب الاجتماع بشيعتهم فلاقوا منهم ضروب الأذى والتنكيل فآثروا العزلة على الخروج بالسيف في وجه دعاة الباطل مع ما يشاهدونه من تمادي أولئك في الطغيان وظلم شيعة أمير المؤمنين وأبنائه وتتبعهم تحت كل حجر ومدر وابادتهم العلويين من جديد الأرض وكان بمرأى منهم بناء المنصور والرشيد الاسطوانات على ذرية فاطمة عليها السلام ظلما وعدوانا[1].

ولكن لم يفتهم الجهاد الأكبر بتحريض شيعتهم على عقد المحافل[2] لذكر حادثة الطف الخالدة وتواصل الاستياء لما هنالك من فجائع ومصائب واسبال الدموع لكارثتها المؤلمة واكثروا من بيان فضل ذلك إلى حد بعيد لأنهم علموا أن هذا هو العامل القوي في ابقاء الرابطة الدينية التي لأجلها لاقى أمير المؤمنين عليه السلام ما لاقاه وأصاب ولده الحسن ما أصابه ومصاب الحسين يدكدك الجبال الرواسي.

فكان أهل البيت عليهم السلام يتحرون أساليب مختلفة من البيان توجب توجيه النفوس نحو التذكارات الحسينية لما لها

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ص ٦٢.

(٢) عقد المحافل للتذكير بتلك الفاجعة المؤلمة لا يقتصر فيه على ذكرها في البيوت فقط فإنه خلاف اطلاق الأخبار ففي أمالي الصدوق عن الرضا عليه السلام من ذكر بمصابنا فبكى وابكى لم تبك عينه يوم تعمى العيون. وفي قرب الإسناد ص ٢٦ عن أبي عبد الله عليه السلام «من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه». وفي كامل الزيارات ص١٠٠ عن أبي هارون المكفوف عن أبي عبد الله وفيه من ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح الذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة. وهذه الأخبار إلى نظائرها الكثير تحث بعمومها على كل وسيلة يتذكر بها مصاب الحسين أو مصاب أهل البيت عليهم السلام سواء في ذلك عقد المأتم أم بذل المال لأجله أو نظم الشعر أو كتابة تلك الفوادح أم تدوينها أو إنشاد ما جرى عليهم أو تصوير تلك الفاجعة أمام الناس بكل مظهر من مظاهره فإن الجامع لهذه الأنحاء قوله عليه السلام: «من ذكّر بمصابنا».

من العلاقة التامة لحفظ المذهب عن الإنـدراس فعبروا عنها بالعموم تارة وبالخصوص أخرى فيقول الباقر عليه السلام: «رحم الله عبدا اجتمع مع آخر فتذاكر في أمرنا فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله بهما الملائكة فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر فإن اجتماعكم ومذاكرتكم احياؤنا وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا».

ويقول الصادق عليه السلام للفضيل بن يسار: «أتجلسون وتتحدثون؟ قال نعم فقال عليه السلام: أما إني أحب تلك المجالس فأحيوا أمرنا فإن من جلس مجلس يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

فالأئمة عليهم السلام أرادوا بهذا النحو من البيان حمل الأمة على الاعتقاد بإمامتهم وما أوجبه المولى سبحانه من عصمتهم وما أهلهم له من الفضائل والفواضل وأن الدعوة إليهم ملازمة لاعتقاد خلافتهم دون من اغتصب ذلك المنصب الالهي.

إن التذكارات الحسينية على اختلاف صورها من عقد العزاء والمآتم[1] واللطم[2] في الدور والشوارع أوجبت تقدم الطائفة، وكان عمل الشبيه أوضح المصاديق والحجج على القساوة التي جاء بها الأمويون ولفيفهم من تلاوة الشعر وذكر المصاب لتسرب ذلك بوضوح إلى أدمغة الأطفال والعامة الذين لا يفهمون ما يشتمل عليه القريض والكتب من دقائق الحادثة وهو أحكم وآكد في تأثر النفوس واحتدام القلوب في حفظ الروابط المذهبية بين الأئمة ومواليهم وله نصيب وافر في رسوخ العقيدة.

ولقد قلد الشيعة في تمثيل فاجعة الطف غيرهم من الهنود وبعض فرق الإسلام وهم في الهند أكثر رواجا من

---

(١) في كامل الزيارات لابن قولويه ص ١٧٤ عن مالك الجهني أن الباقر عليه السلام قال في يوم عاشوراء: ولينذب الحسين ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه ويقيم في داره مصيبته باظهار الجزع عليه ويتلاقون بالبكاء عليه بعضهم بعضا في البيوت وليعز بعضهم بعضا بمصاب الحسين فأنا ضامن على الله لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم ثواب الفي ألف حجة وعمرة وغزوة مع رسول الله والأئمة الراشدين عليهم السلام.

(٢) روى الشيخ الطوسي في التهذيب ج ٢ ص ٢٨٣ آخر الكفارات عن الصادق عليه السلام أنه قال: «ولقد شققن الفاطميات الجيوب أو لطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب»! وذكره الشهيد في (الذكرى) في البحث الرابع من المطلب الثالث من أحكام الأموات.

جميع الممالك الإسلامية[1].

فكان لفت الأنظار نحو هذه التذكارات والاعتناق بها أمس في إحياء أمر المعصومين المحبوب لديهم التحدث والتذاكر فيه. ولعل جملة من هذه الفوائد لا تفهم الأمة منها النكتة المهمة بل غاية ما يتصورون من فائدة عملهم هو الثواب عليه في الآخرة فقط ولكن الواقف على أسرار أهل البيت والمستشرف لمغازي أقوالهم وأفعالهم يتجلى له ما ألمعوا إليه من هذه النوادي والمجتمعات وحثوا شيعتهم عليه بمزيد لطفهم وواسع علمهم.

[مقتل الحسين عليه السلام]

(١) ذكر الدكتور «جوزف» الفرنسي في كتابه الإسلام والمسلمون الذي نشرت جريدة «الحبل المتين» منه فصلا بالفارسية في عدد ٢٨ من سنتها.

ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك ، إنِّي لاستصغر قدرك

هاشم معروف الحسني

إنَّها الدواهي التي لا تترك للإنسان رأياً ولا اختياراً وتسيطر على كل مشاعره وأحاسيسه هي التي فرضت عليَّ أن أخاطبك يا ابن ميسون ويا بيبب الشرك والوثنية ، ولولا تلك الدواهي الجسام لَمَا خاطبتك ولا يمكن لذكرك أن يمرَّ في خاطري ، ولو بما هو فيك من صلف وخسَّة ونزق ووحشية .

هذا الذي تعنيه بطلة كربلاء بقولها لذلك الجبار الأحمق الذي تمنَّى حضور أشياخه من أميَّة ومشركي مكَّة ليشاهدوا رأس الحسين بين يديه وليشاطروه الفرح والسرور وهو ينكت ثناياه بمخصرته ، هذا الذي كانت تعنيه من قولها: ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك وحضور مجلسك.

(إنَّ دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة)

لقد شاركت أخاها الحسين في جميع مواقفه من الظالمين، ورجعت من كربلاء حاملة رسالة أبيها وأخيها لتبلِّغها للأجيال من الرجال والنساء من الأجيال في كل أرض وزمان بالرغم من ضجيج الجلاَّدين ووعيدهم، وكانت القدوة التي تعلِّم الأجيال من سيرتها وبطولاتها معاني الرجولة. وتعلِّم النساء كيف يتخلَّصن من فتن الإغراءات الخبيثة التي تَدْلَهم من حولهنَّ ومن دهاليز الحضارة الجديدة التي تقتحم العصور بمفاتنها ومغرياتها لتستلَّ منها أخلاقها ومعتقداتها وأعرافها.

فأين من زينب وأخوات زينب نساؤنا وبناتنا الضائعات في تلك المتاهات، إيماناً وعزيمة وصبراً في الشدائد والأهوال، وتمسُّكاً بالقيم وتعاليم الإسلام والأخلاق الكريمة الفاضلة؟

وأين من الحسين وأنصاره مَن يدَّعون التشيُّع للحسين وأبيه وأبنائه، وقد باعوا أنفسهم لَمن يحملون روح يزيد ومعاوية بأبخس الأثمان، كما باعها أسلافهم لمعاوية وأمثال معاوية من الحاكمين والجلادين من قبل؟

إنَّ الأحداث الجِسام التي اعترضت حياة العقيلة ابنة علي والزهراء في معركة كربلاء وما تلاها من المواقف، أَلْفَتَتْ إليها الأنظار وجعلتها في طليعة الأبطال ومن شركاء الحسين عليه السلام في جميع مواقفه من أولئك الطغاة، فتحدَّث عنها المؤرِّخون وأصحاب السير في مجاميعهم، والكتَّاب المحدِّثون في مؤلَّفاتهم، وأشاد الخطباء بفضلها ومواقفها من على المنابر، ونظم الكثير من الشعراء القصائد الرنَّانة في وصف أحزانها وأشجانها وصبرها وثباتها، ونذكر على سبيل المثال ما جاء في وصف حالتها من قصيدة لأحد شعراء الطفِّ السيد محمد حسين الكشوان (رحمه الله) يقول فيها:

أهـوت عـلى جسـم الحسـين وقلبُـها ... المـصـدوع كـاد يـذوب مـن حسراتها

وقـعـت عـليـه تـشـمُّ مـوضـع نـحره ... وعـيـونـها تـنـهـلُّ فـي عـبراتها

تـرتـاع مـن ضرب الـسـيـاط فتنثني ... تـدعـو سـرايـا قـومـها وحِماتها

أيـن الـحِـفـاظ وهـذه أشـلاؤكـم ... بـقـيـت ثـلاثـاً فـي هـجـيرِ فَلاتها

أيـن الـحـفـاظ وهـذه فـتياتكم ... حُـمـلـت عـلى الأقـتـاب بـين عداتها

ومـخـدَّراتٍ مـن عـقـائـل أحمد ... هـجـمـت عـليـها الخـيـل في أبـياتها

حـملت بـرغـم الـديـن وهـي ثـواكـل عـبرى تُـرَدِّدُ بـالـشـجى زفـراتهـا

وله من قصيدة أخرى في وصفها عندما شاهدت أخاها صريعاً على ثرى الطفِّ وقد عبثت سيوف الأعداء ورماحهم بجسمه وأعضائه:

وهـاتـفـة مـن جـانـب الخـدر ثـاكـل بـدت وهـي حـسرى تلطم الخـد باليد

يـؤلمـهـا قـرع الـسـيـاط فتنثني تـحـنُّ فيشجي صـوتهـا كـلَّ جلمد

وسيـقـت عـلى عـجف المطـايـا أسـيرة يـطـاف بهـا في مـشـهـدٍ بـعـد مشهد

سـرت تـهـاداهـا عـلـوج أمـيَّـة فـمِن مـلـحدٍ تُهـدى إلى شرِّ ملحد

ورحم الله هاشم الكعبي الذي هيمن عليه الولاء لأهل البيت وانتقل به من عالمه ودنياه إلى عالم الثواكل في كربلاء، فشعر بشعورهنَّ وأحسَّ بأحاسيسهنَّ حتّى أصبح مثلهنَّ ثاكلاً يندب وينوح بعبرات تُحيي الثرى وزفرات تدع الرياض همودا ؛ فقال في وصف زينب وأخواتها بعد أن انجلت المعركة عن تلك المجزرة الرهيبة:

وثـواكـل في الـنـوح تُـسعـد مثلها أرأيـت ذا ثـكـل يـكـون سـعيدا

نـاحـت فـلـم تُـر مثـلـهـنَّ نـوائـحاً إذ لـيس مـثـل فـقيدهـنَّ فقـيدا

لا الـعـيس تحكيـهـا إذا حـنَّـت ولا الـورقـاء تحـسـن عـنـدهـا الـترديـدا

إن تـنـعِ أعـطـت كـلَّ قـلـبٍ حسرة أو تـدع صـدَّعـت الجـبـال الميـدا

عـبراتهـا تحـيـي الـثـرى لـو لم تكن زفـراتُهـا تَـدع الـريـاض همـودا

وغـذت أسـيرة خـدرهـا ابـنـة فـاطـمٍ لـم تـلـقَ غـير أسـيرهـا مـصـفـودا

تـدعـو بـلـهـفـة ثـاكـل لـعـبَ الأسـى بـفـؤاده حـتّـى انـطـوى مفـؤودا

تخفي الشجا جَـلَـداً فـإنْ غلب الأسى ضعفت فـأبـدت شـجـوهـا المكـمـودا

نـادت فقطَّعت القلوبَ بشجوها لـكـنَّـما انـتـظـم الـبـنـيـان فـريـدا

إنـسـان عـيـنـي يـا حـسـين أخـي يـا أمـلـي وعـقـد جُـمـانـي المـنـضـودا.

[من وحي الثورة الحسينيَّة]

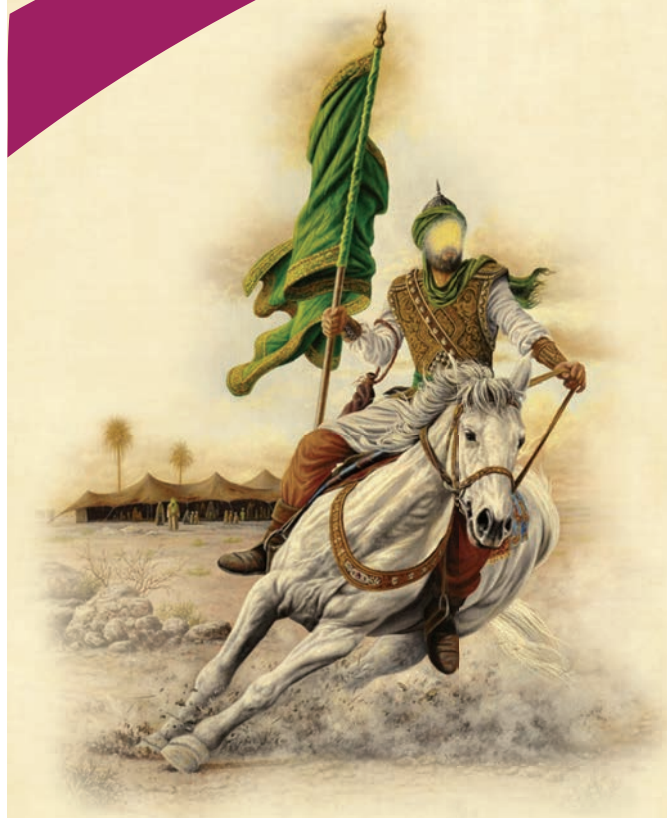

العباس بن علي عليهما السلام

الشيخ باقر شريف القرشي

برز أبو الفضل العباس عليه السلام على مسرح التاريخ الإسلامي كأعظم قائد فذّ لم تعرف له الإنسانية نظيراً في بطولاته النادرة بل ولا في سائر مُثله الأخرى التي استوعبت -بفخر- جميع لغات الأرض.

لقد أبدى أبو الفضل يوم الطف من الصمود الهائل، والارادة الصلبة ما يفوق الوصف، فكان برباطة جأشه، وقوّة عزيمته جيشاً لا يقهر فقد أرعب عسكر ابن زياد، وهزمهم نفسيّاً، كما هزمهم في ميادين الحرب.

ان بطولات أبي الفضل كانت ولا تزال حديث الناس في مختلف العصور، فلم يشاهدوا رجلاً واحداً مثقلاً بالهموم والنكبات يحمل على جيش مكثّف مدعّم بجميع آلات الحرب قد ضمّ عشرات الآلاف من المشاة وغيرهم فيلحق بهم أفدح الخسائر من معداتهم وجنودهم، ويقول المؤرخون عن بسالته ـ يوم الطف ـ إنه كلما حمل على كتيبة تفرّ منهزمة من بين يديه يسحق بعضها بعضاً قد خيّم عليها الموت، واستولى عليها الفزع والذعر قد خلعت منها الأفئدة والقلوب، ولم تغن عنها كثرتها شيئاً.

انّ شجاعة أبي الفضل وسائر مواهبه ومزاياه مما تدعو إلى الاعتزاز والفخر ليس له وللمسلمين فحسب، وإنما لكل إنسان يدين لإنسانيته، ويخضع لقيمها الكريمة.

وبالإضافة إلى ما يتمتّع به أبو الفضل العباس عليه السلام من البطولات الرائعة فانّه كان مثالاً للصفات الشريفة، والنزعات العظيمة، فقد تجسّدت فيه الشهامة والنبل والوفاء والمواساة، فقد واسى أخاه أبا الأحرار الإمام الحسين عليه السلام في أيام محنته الكبرى، ففداه بنفسه ووقاه بمهجته، ومن المقطوع به أن تلك المواساة لا يقدر عليها إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان، وزاده هدى.

ومثّل أبو الفضل العباس عليه السلام في سلوكه مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام حقيقة الأخوّة الإسلامية الصادقة، وأبرز جميع قيمها ومثلها، فلم يبق لون من ألوان الأدب، والبرّ والإحسان إلّا قدّمه له، وكان من أروع ما قام به في ميادين المواساة له، انه حينما استولى على الماء يوم الطفّ تناول منه غرفة ليشرب، وكان قلبه الزاكي كصالية الغضا من شدّة الظمأ، فتذكّر في تلك اللحظات الرهيبة عطش أخيه الإمام الحسين وعطش الصبية من أهل البيت فدفعه شرف النفس، وسموّ الذات إلى رمي الماء من يده، ومواساتهم في هذه المحنة الحازبة، تصفّحوا في تاريخ الأمم والشعوب فهل تجدون مثل هذه الأخوّة الصادقة؟!! انظروا في سجلّات نبلاء الدنيا فهل ترون مثل هذا النبل، ومثل هذا الإيثار؟!

الله أكبر أي رحمة مثل هذه الرحمة، وأيّة مودّة مثل هذه المودّة !!

إن الإنسانية بجميع قيمها ومثلها لتنحني إجلالاً وخضوعاً أمام أبي الفضل على ما أبداه من عظيم النبل لأخيه الإمام الحسين أبي الأحرار وسيّد الشهداء عليه السلام.

والشيء الذي يدعو إلى الاعتزاز بتضحية أبي الفضل ونصرته لأخيه الإمام الحسين، أنّها لم تكن بدافع الأخوة والرحم الماسة وغير ذلك من الاعتبارات السائدة بين الناس، وانّما كانت بدافع الإيمان الخالص لله، ذلك الإيمان الذي تفاعل مع عواطف أبي الفضل، وصار عنصراً من عناصره، ومقوّماً من مقوّماته، وقد أدلى بذلك في رجزه حينما قطعت يمينه التي كانت تفيض برّاً وعطاءً للناس، قائلاً:

والله إن قطعتم يميني
إنّي أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين

ان الرجز في تلك العصور كان يمثّل الأهداف والمبادئ والقيم التي من أجلها يقاتل الشخص، ويستشهد في سبيلها، ورجز سيّدنا العباس عليه السلام صريح واضح في أنّه انّما يقاتل دفاعاً عن الدين، ودفاعاً عن المبادئ الإسلامية الأصيلة التي تعرضت إلى الخطر أيام الحكم الأموي الأسود، كما أنّه انّما يقاتل دفاعاً عن إمام المسلمين سبط رسول الله وريحانته الإمام الحسين المدافع الأوّل عن كرامة الإسلام، فهذه هي

العوامل التي دفعته إلى التضحية، وليس هناك أي دافع آخر وهذا هو السرّ في جلال تضحيته، وخلودها عبر القرون والأجيال.

لقد استشهد أبو الفضل العباس من أجل المبادئ العليا التي رفع شعارها أبو الأحرار أخوه الإمام الحسين عليه السلام، والتي كان من أهمّها أن يقيم في هذا الشرق حكم القرآن، وينشر العدل بين الناس ويوزّع عليهم خيرات الأرض، فليست هي لقوم دون آخرين.

لقد استشهد أبو الفضل من أجل أن يعيد للإنسان المسلم حرّيته وكرامته، وينشر بين الناس رحمة الإسلام، ونعمته الكبرى الهادفة لاستئصال الظلم والجور، وبناء مجتمع لا ظلّ فيه لأي لون من ألوان الفزع، والخوف.

لقد حمل أبو الفضل مشعل الحرية والكرامة، وقاد قوافل الشهداء إلى ساحات الشرف، وميادين العزّة، والنصر للشعوب الإسلامية التي كانت ترزح تحت وطأة الظلم والجور.

لقد انطلق أبو الفضل إلى ميادين الجهاد من أجل أن ترتفع كلمة الله تعالى عالية في الأرض، تلك الكلمة التي هي منهج كامل للحياة الكريمة بين الناس.

وفجّر الإمام أبو الأحرار ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب وجعلها عبرة لأولي الألباب، فدكّ بها حصون الظلم، وقلاع الجور.

ولم يفجّر الإمام الحسين عليه السلام ثورته الرائدة العملاقة أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً، ولا مفسداً ـ حسب ما يقول ـ وإنّما أراد تغيير الواقع المرير الذي تعيشه الأمة من جرّاء الحكم الأموي المنحرف عن جميع الأعراف والقوانين، ذلك النظام الذي أحال حياة الناس إلى جحيم لا يطاق، فقد عجّت البلاد الإسلامية بجميع صنوف الجور والإرهاب، وكان من أعظمها محنة وأشدّها بلاءً البلاد الخاضعة لحكم زياد بن أبيه، والي معاوية على العراق، وأخيه اللاشرعي، الذي أجّج نار الفتنة، وحكم بين الناس بغير ما أنزل الله، فأخذ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، وقتل على الظنّة والتهمة، كما أعلن ذلك، وطبّقه بالفعل على الحياة العامة بين الناس.

وأن سبط الرسول صلى الله عليه وآله، وأمل الإسلام، والمسؤول الأوّل عن رعاية المسلمين، وصيانة حياتهم والواقع الاجتماعي الذي تعيشه الأمة، والذي ينذر بخطر عظيم على حياتها العقائدية، والفكرية والاجتماعية، فقد تحكّم في مصيرها جبابرة الأمويين، وطغاة الرأسمالية القرشية، التي حملت معول الهدم على جميع ما أسّسه الإسلام من مجد أصيل وخلق رفيع للأمة، بالإضافة إلى أنّها أخذت تستنزف الموارد الاقتصادية في العالم الإسلامي، وتنفقها على شهواتها، ورغباتها

الخاصة، فهبّ أبو الأحرار لإنقاذ المسلمين، وإعادة الحياة الكريمة لهم، فما أعظم عائدته على الإسلام، وما أكثر ألطافه وأياديه على المسلمين.

ان ملحمة كربلاء من أهم الأحداث العالمية، بل ومن أهمّ ما حققته البشرية من إنجازات رائعة في ميادين الكفاح المسلّح ضدّ الظلم والطغيان، فقد غيّرت مجرى تاريخ الشعوب الإسلامية، وفتحت لها آفاقاً مشرقة للتمرّد على الظلم والطغيان.

لقد ألهبت هذه الملحمة الخالدة عواطف الأحرار، ودفعتهم إلى النضال المسلّح في سبيل تحرير المجتمع من نير العبودية والذلّ، وإنقاذه من الحكم اللاشرعي.

لقد انتصر سيّد الشهداء في ثورته الخالدة، وانتصرت أهدافه ومبادئه العظيمة، وظلّ مثلاً خالداً للكفاح المقدّس يطارد الظالمين والطغاة في كل عصر وزمان، ويمدّ الثوّار بروح التضحية والفداء.

ان من الانتصارات الرائعة التي حقّقها أبي الضيم في ثورته أنه جرّد الحكم الأموي من الشرعية، وأنّه لا يمثّل الإسلام، ولا المسلمين بأي حال من الأحوال، وإنّما هو حكم ديكتاتوري قائم على النطع والسيف لا على رضا الأمة واختيارها.

لقد زعزع أبو الأحرار أروقة الحكم الأموي واطاح بها، ونسف معالم زهوهم وفجورهم وطغيانهم، وظلّوا مثلاً أسود لكل حكم منحرف عن سنن الحق والعدل.

لقد أيقظت ثورة أبي الأحرار الشعوب الإسلامية من تخديرها وسباتها، فانطلقت كالمارد الجبّار في ثورات متلاحقة، وهي ترفع شعار التحرير، وشعار الاستقلال، وشعار الكرامة من أجل التخلّص من ذلك الحكم الأسود.

ومن الجدير بالذكر أن كارثة كربلاء، وما لحق بالإمام الحسين عليه السلام من التنكيل، والاعتداء الصارخ، لم يأتِ ذلك عفواً، وإنّما كان من النتائج المباشرة للانحرافات، والسلوك في المنعطفات السياسية من جانب الحكام والمسؤولين الذين كانوا ينظرون إلى السلطة بأنّها مغنم، ووسيلة للظفر بالثراء العريض، ولم يعوا أن الإسلام اعتبر السلطة أداة لخدمة المجتمع، وتطوير حياته الفكرية والاقتصادية، وانّها مسؤولة أمام الله عن اقتصاد الأمة فيجب عليها الاحتياط فيه كأشدّ ما يكون الاحتياط فليس لرئيس الدولة، ولا لغيره من أجهزة الحكم أن يحوزوا لأنفسهم وذويهم أي شيء من أموال الدولة.

وكان على رأس الحكّام المنحرفين ملوك بني أمية الذين اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله

خولاً، وبالإضافة إلى ما اقترفوه من ظلم الأمة والاعتداء على كرامتها، فانّهم عمدوا إلى ظلم العلويين، والإجهاز على شيعتهم، وقد شاهد أبو الفضل عليه السلام المحن الشاقة والعسيرة التي حلّت بأهل بيته ومحبّيهم، ومما لا ريب فيه انّها تركت في أعماق نفسه أقسى ألوان المحن، والآلام.

أمّا دور سيّدنا العباس عليه السلام في ملحمة كربلاء فانّه يأتي في الأهمية بعد أخيه أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام صانع هذه الملحمة الخالدة في دنيا الحقّ والعدل، وقد فاق جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته المكرمين، وذلك بما قدّمه من عظيم الخدمات لأخيه، بالإضافة إلى مواقفه البطولية الرائعة، وصموده الهائل أمام معسكر ابن زياد، وقد أبدى من البسالة ما يذهل الأفكار ويحيّر الألباب، وكان يشيع في نفوس أصحاب أخيه وأهل بيته العزم والتصميم على التضحية والجهاد بين يديه، فقد استهان بالموت وسخر من الحياة، وقد انطبعت هذه الظاهرة في نفوسهم فاعتنقوا الشهادة، وانطلقوا إلى ميادين الجهاد ليرفعوا كلمة الله في الأرض.

وكان العبّاس عليه السلام أيّام المحنة الكبرى التي حلّت بأخيه ملازماً له لم يفارقه، وقدّم له جميع ألوان البرّ والإحسان، فكان يقيه بنفسه ويفيديه بمهجته، فهو صاحب لوائه، ومدير شؤونه، والمتصدّي لخدماته، ويقول الرواة: انّه قد استوعب حبّه والإخلاص له قلب أخيه الإمام الحسين عليه السلام حتى فداه بنفسه، وكان عليه ضيفاً، فلم يسمح له بالحرب حتى بعد مقتل أصحابه وأهل بيته، لأنّه كان يشعر بالقوة والمنعة، ما دام حيّاً إلى جانبه، ولما استشهد العباس عليه السلام شعر الإمام الحسين عليه السلام بالوحدة والغربة والضياع بعده وفقد كلّ أمل له في الحياة، وراح يبكي عليه أمرّ البكاء، ويندبه بذوب روحه، وسارع إلى ساحة الحرب ليلتقي به في جنان الخلد.

سلام الله عليك يا أبا الفضل ففي حياتك وشهادتك ملتقى أمين لجميع القيم الإنسانية، وحسبك أنّك وحدك كنت انموذجاً رائعاً لشهداء الطفّ الذين احتلّوا قمّة الشرف والمجد في دنيا العرب والإسلام.

[العباس بن علي رائد الكرامة والفداء في الاسلام]

ولد في أوائل خلافة عثمان بن عفان، وروى الحديث عن جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام كما حقّقه ابن إدريس قدس سره في السرائر، ونقله عن علماء التاريخ والنسب [1]. أو بعد جدّه عليه السلام بسنتين كما ذكره الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد [2]. وأمه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفيّ، وأمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية. وأمّها بنت أبي العاص بن أمية. وكان يشبه بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في المنطق والخَلق والخُلق.

وفي علي عليه السلام يقول الشاعر:

لم تر عين نظرت مثله
من محتف يمشي ومن ناعل
يغلي نهىء اللحم حتى إذا
أنضج لم يغل على الآكل
كان إذا شبت له ناره
يوقدها بالشرف القائل
كيما يراها بائس مرمل
أو فرد حي ليس بالآهل
لا يؤثر الدنيا على دينه
ولا يبيع الحق بالباطل
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى
أعني ابن بنت الحسب الفاضل [3]

ويكنّى أبا الحسن، ويلقب بالأكبر؛ لأنه

(١) السرائر: ١ / ٦٥٥، وفيه: «في أمارة عثمان».
(٢) الإرشاد: ٢ / ١٣٧.
(٣) راجع مقاتل الطالبيين: ٨٦.

الأكبر على أصحّ الروايات، أو لأنّ للحسين عليه السلام أولاداً ستة ثلاثة أسماؤهم عليّ، وثلاثة أسماؤهم عبد الله وجعفر ومحمّد، كما ذكره أهل النسب فهو أكبر من عليّ الثالث على رواية.

وروى أبو مخنف عن عقبة بن سمعان قال: لما كان السحر من الليلة التي بات بها الحسين عن قصر بني مقاتل، أمرنا الحسين بالاستقاء من الماء، ثمّ أمرنا بالرحيل ففعلنا، قال: فلما ارتحلنا عن قصر بني مقاتل، خفق برأسه خفقة، ثمّ انتبه وهو يقول: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين**»، ثمّ كرّرها مرّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين عليه السلام - وكان على فرس له - فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، يا أبت جعلت فداك، ممَّ استرجعت وحمدت الله»؟ فقال الحسين عليه السلام: «**يا بني إني خفقت برأسي خفقة فعنَّ لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا**»، فقال له: «يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحقّ»؟ قال: «**بلى، والذي إليه مرجع العباد**» قال: «يا أبت، إذن لا نبالي نموت محقّين» فقال له: «**جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده**»[1].

قال أبو الفرج[2] وغيره: وكان أوّل من قُتل بالطف من بني هاشم بعد أنصار الحسين عليه السلام عليّ بن الحسين عليهما السلام، فإنه لما نظر إلى وحدة أبيه تقدّم إليه وهو على فرس له يدعى ذا الجناح، فاستأذنه للبراز - وكان من أصبح الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً - فأرخى عينيه بالدموع وأطرق، ثمّ قال: «**اللهمّ اشهد أنه قد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه**»، ثمّ صاح: «**يا بن سعد، قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظني في رسول الله صلى الله عليه وآله**»، فلمّا فهم عليٌّ الإذن من أبيه شدَّ على القوم وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي
نحن وبيت الله أولى بالنبي
والله لا يحكم فينا ابن الدعي

فقاتل قتالاً شديداً، ثمّ عاد إلى أبيه وهو يقول: يا أبت، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فبكى الحسين عليه السلام وقال: «**وا غوثاه أنى لي الماء، قاتل يا بني قليلاً واصبر، فما أسرع الملتقى بجدّك محمّد صلى الله عليه وآله فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبدا**».

فكرّ عليهم يفعل فعل أبيه وجده. فرماه مرّة ابن منقذ العبديّ بسهم في حلقه[3].

وقال أبو الفرج: قال حميد بن مسلم الأزدي: كنت واقفاً وبجنبي مرّة بن منقذ، وعليّ بن الحسين يشدّ على القوم يمنة ويسرة فيهزمهم، فقال مرّة عليَّ آثام العرب إن مرَّ بي

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٣٠٩، بتفاوت في بعض العبارات.
(٢) مقاتل الطالبيين: ١١٥.
(٣) راجع اللهوف: ١٦٦.

هـذا الغلام لأثكلن به أبـاه، فقلت: لا تقل، يكفيك هؤلاء الذين احتوشوه.

فقال: لأفعلن، ومرَّ بنا عليٌّ وهو يطرد كتيبة فطعنه برمحه فانقلب على قربوس فرسه فاعتنق فرسه فكرَّ به على الأعداء، فاحتووه بسيوفهم فقطعوه[1]. فصاح قبل أن يفارق الدنيا: السلام عليك يا أبتِ، هذا جدّي المصطفى قد سقاني بكأسه الأوفى وهو ينتظرك الليلة، فشدَّ الحسين عليه السلام حتّى وقف عليه وهو مقطّع فقال: «قتل الله قوماً قتلوك يا بني، فما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول»، ثمّ استهلّت عيناه بالدموع، وقال: «على الدنيا بعدك العفا»[2].

ورجع فقال لفتيانه: «احملوا أخاكم» فحملوه من مصرعه، ثمّ جاؤوا به فوضعه بين يدي فسطاطه[3]. وقتل ولا عقب له.

وفيه أقول:

بـأبي أشـبـه الـورى بـرسـول
الله نـطـقـا وخـلـقـة وخليقه
قـطـعـتـه أعـــداؤه بـسـيـوف
هـي أولى بهـم وفيهم خليقه
ليت شعري ما يحمل الرهط منه
جسـداً أم عظام خير الخليقة
[أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام]

(١) مقاتل الطالبيين : ١١٥ .
(٢) راجع مقاتل الطالبيين : ١١٥ ، واللهوف : ١٦٧ .
(٣) تاريخ الطبري : ٣ / ٣٣١ بتفاوت في بعض الكلمات.

لماذا أصبح العامُ الهجريُ مبدأً للتاريخ؟

الشيخ جعفر السبحاني

إن الإسلام أكمل الشرائع السماوية قاطبة وقد جاء إلى البشرية بما تتضمنه شريعة موسى وعيسى عليهما السلام ولكن بصورة أكمل وبصيغة تطابق وتتماشى مع جميع الظروف والأوضاع.

ومع أنّ السيّد المسيح عليه السلام وميلاده المبارك يحظى بالاحترام عند المسلمين إلّا أنّ ميلاده عليه السلام لم يُتخَذ لديهم مبدأ للتاريخ والتوقيت.

وكانت العرب قد جعلت عام الفيل مبدأ لتاريخها وكانت تقيس حوادثها وأُمورها إليه فترة من الزمن ومع أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قَد وُلِدَ في ذلك العام نفسه إلّا أن المسلمين لم يتخذوه مع ذلك مبدأ للتاريخ لأنه لم يكن ينطوي على ما يتصل بقضية الإيمان والإسلام.

ولأجل هذا أيضاً لم يتخذوا عام البعثة مبدأ لتاريخ المسلمين أيضاً؛ لأن عدد المسلمين لم يكن يتجاوز في ذلك اليوم ثلاثة أشخاص إذن فلم يكن في أي واحد من تلك الحوادث ما يعطي مبرراً قوياً لاتخاذه مبدأ للتوقيت والتاريخ إذ لابد من ان يكون ما يتخذ لذلك قضية مصيرية بالغة الأهمية.

ولكنه في السنة الأولى من الأعوام الهجرية حقّق المسلمون انتصاراً عظيماً وباهراً، وقد أُسست فيه حكومة مستقلة وتخلّص المسلمون من التشرذم والتبعثر وتمركزت قواهم وعناصرهم في نقطة واحدة وبيئة حرة لا أثرَ فيها للكبت والاضطهاد من هنا جعلوا ذلك العام (أي العام الّذي تحققت فيه هجرة النبيّ العظيم) مبدءًا لتاريخهم واخذوا يقيسون إليه -وحتّى الآن- كل ما يحدث ويقع من خير وشر لتحديد تاريخ وقوعه.

من هنا يكون قد مضى على عام هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة ألف وأربعمائة وتسعة أعوام.

[سيد المرسلين: ج١، ص٦٠٦]

أوراق جامعية

تدارك النقص

الشيخ محمّد تقي فلسفي

إنّ الشخص المصاب بعقدة الحقارة، أو الـذي يشعر بالحقارة يحـاول أن يسدّ نقصه الداخلي، أو لأجل إقناع نفسه على الأقل، يقدم على أفعال يتصورها صحيحة ومناسبة، ولكنّه يحرص أشد الحرص على أن لا ينتبه الأفراد الى العلة الواقعية لتلك الأفعال، التي هي الشعور بالضعة والدونية؛ لهذا فإنه يحاول أن يبرر كل عمل من أعماله بأسلوب معقول صحيح حتى يقنع الناس بذلك باستقامته وصحة أفعاله.

لتوضيح هذا الموضوع أذكر لكم نموذجين:

١ـ لنتصور طالباً لم يتلقّ مقداراً كافياً من الثقافة والتعلم إمـا بسبب قصوره وضعف إدراكـه، أو لتهاونه وكسله. إنه يحس بالحقارة في باطنه، ويرى نفسه في مستوى أقل وأوطأ من مستوى بقية الطلاب، إنه يعرف جيداً أنه لو اشترك في الامتحانات فنتيجته الرسوب المحتم وافتضاح أمره لدى زملائه. ولكي يخفي حقارته الباطنية يتمارض أو يترك الدراسة تماماً ويقول في تبرير عمله هـذا: ما هي فائدة الدراسة؟! إن الثقافة في هـذه البلاد تـؤدي إلى الحرمان والتعاسة! ما أكثر الأشخاص المثقفين الذين بقوا عاطلين عاجزين عن تحصيل ما يسدّ رمقهم... وبالمناسبة يذكر أسماء بعضهم. إنه يحاول بحديثه هذا أن يشرك الطلاب الآخرين معه في عقيدته

ويحثهم على ترك الدراسة أيضاً.

٢ـ يقول شاختر: (أتذكر فتاة دعيت إلى حفلة كبيرة، فظلت تستعد لملابسها عدة أيام، ولكنها تنبهت قبل ذهابها الى الحفلة بساعتين أو ثلاث إلى أن أمها مصابة بمرض ولذلك يجب عليها أن تتخلى عن الذهاب).

(مهما ألحوا عليها وأصرّت الأم نفسها عليها بالذهاب لم يجد ذلك نفعاً وأخيراً أجهشت بالبكاء. كانت تقول كيف أستطيع أن أترك أمي على هذه الحالة وحيدة وأذهب للترفيه عن نفسي؟ في حين أن مرض أمها لم يكن جديداً ولم تكن هناك حاجة لبقائها. لقد ذكرت الأم فيما بعد أن هذه الفتاة كانت مضطربة منذ ليالٍ وكانت لا تنام باستقرار، ولقد أدركت جيداً أنها كانت تخشى من الذهاب الى تلك الحفلة كثيراً، لأنها كانت تتصور أنها لا تستطيع مضاهاة الفتيات هناك بملابسها. ولكنها ما أن تذرعت بمرضي وشكرتها على حنانها هدأت واعتقدت أنها تملك مبرراً معقولاً لعدم الذهاب الى الحفلة. ولذلك فقد نامت تلك الليلة ـ على عكس الليالي السابقة ـ على أتم الراحة والاستقرار. ولكن كان يظهر من خلال كلماتها في الأيام اللاحقة أنها كانت متألمة في باطنها من عدم الذهاب الى الحفلة).

إن كلاً من الطالب والفتاة كان يحس بالحقارة في نفسه. الأول لجهله وقلة حظه من الثقافة، والثانية لعدم أناقة ملابسها، هذا الشعور دفع الطالب الى ترك المدرسة والفتاة إلى عدم الحضور في الحفلة. لقد برر الطالب عمله ذاك بحرمان الرجال المثقفين وبطالتهم، وبررت الفتاة عملها بمراقبة أمها في مرضها، ولم يوافق أيّ منهما على التصريح بالحقارة التي يشكو منها والتي كانت الدافع الحقيقي لسلوكهما.

تختلف ردود الفعل التي يبديها الأفراد على أثر إصابتهم بعقدة الحقارة؛ لأنه بغض النظر عن اختلاف الشعور بالحقارة عند الأفراد من حيث الشدة والضعف، فإن الظروف البيئية والعوامل الاجتماعية المؤثرة في أفعال الفرد وأقواله تختلف أيضاً من فرد إلى آخر. إن البناء الروحي والتربية العائلية والخواص الفطرية والمكتسبة للأشخاص تختلف اختلافاً كبيراً، وعندئذ فمن البديهي أن تكون أفعال الناس المتولدة من أفكارهم متنافرة ومتضادة أحياناً.

وهكذا فإن البعض يظهرون ردود الفعل لعقدة الحقارة بالسكوت والهدوء، والبعض الآخر بالثرثرة والإطالة في الحديث... قسم منهم يتذرع بالتملق، والقسم الآخر يلتزم التكبر والاستعلاء. طائفة تتصف بالعطف والحنان، وأخرى تتسم بالفحش والتسيب.

[الطفل بين الوراثة والتربية: ج٢، ص٢٩٦ـ٢٩٨]

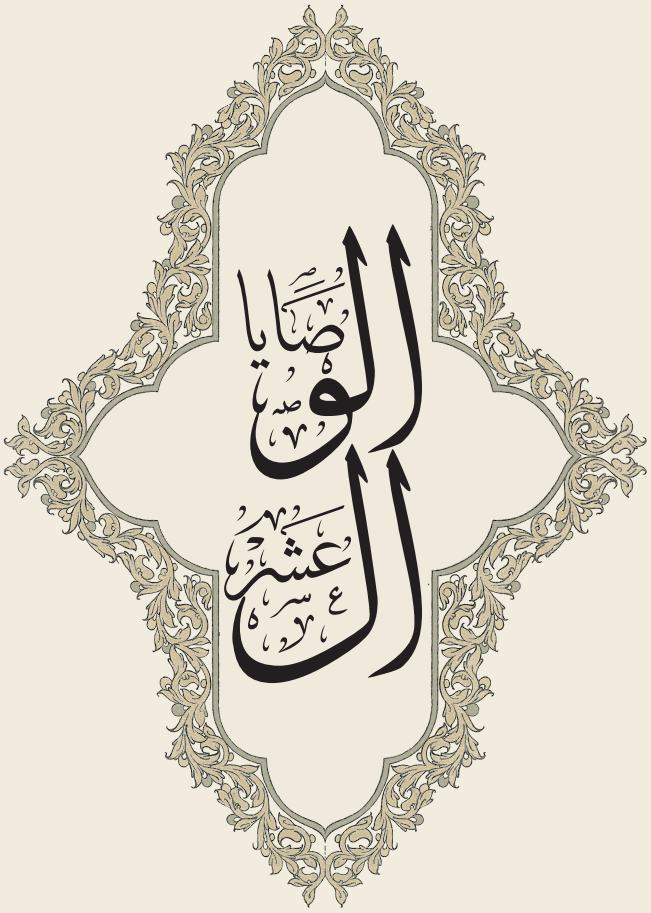

محمد جواد مغنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

[الأنعام: ١٥١]

١- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]. ابتدأ سبحانه بالأصل الأول من العقيدة، وهو نفي الشرك الذي يقابله ثبوت التوحيد، واليه ترجع جميع الأصول والفروع، ومنه تستمد جميع الحقوق والواجبات، وبه تقبل الطاعات وعمل الخيرات، ويتلخص معنى التوحيد بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال.

٢ - ﴿وبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾. قرن سبحانه الوصية بالوالدين بربوبيته المتفردة إشعارا بأن الإحسان إليهما يجب أن يكون فريدا في بابه.. فكأنه قال: لا تشركوا بالله، ولا تشركوا بالإحسان إلى الوالدين إحسانا. وتكلمنا بشبهه عن البر بالوالدين عند تفسير الآية ٨٣ من سورة البقرة ج ١ ص ١٤١.

٣ - ﴿ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وإِيَّاهُمْ﴾. بعد ما أوصى الأبناء بالآباء أوصى الآباء بالأبناء. وسبق الكلام عن ذلك عند تفسير الآية ١٣٧ من هذه السورة.

٤ - ﴿ولا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ﴾. كل ما تجاوز الحد في القبح فهو فحش، ومنه الزنا واللواط والظلم والتهتك والتبرج، والكذب والغيبة والنميمة واللؤم والحسد، وأعظم الفواحش كلها الإلحاد والشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس المحترمة، وأكل مال اليتيم، وإنما أفرد الله هذه بالذكر، مع انها تدخل في الفواحش للتنبيه إلى انها قد بلغت الغاية والنهاية من القبح والفحش، سواء اقترفت سرا أم علانية، وعن ابن عباس ان أهل الجاهلية كانوا يكرهون الزنا علانية، ويفعلونه سرا، فنهاهم الله عنه في الحالين.

وعن رسول الله ﷺ انه قال: «**الا أخبركم بأبعدكم مني شبها؟** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **الفاحش المتفحش البذيء البخيل المختال الحقود الحسود القاسي القلب البعيد عن كل خير يرجى غير مأمون من كل شر يتقى**».

٥ - ﴿ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. الأصل في قتل النفس التحريم، ولا يحل إلا بسبب موجب، وهو واحد من أربعة: نصت السنة النبوية على ثلاثة منها، وهي قوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد ايمان، وزنا بعد إحصان، وقتل**

نفس بغير حق». ونص الكتاب على السبب الرابع في الآية ٣٣ من سورة المائدة: ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورَسُولَهُ ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا.﴾ ﴿ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي تعرفون قبح الشرك وقتل النفس والفواحش، وحسن البر بالوالدين.

٦ - ﴿ولا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. والنهي عن القرب منه أبلغ من النهي عنه بالذات، ويعم جميع وجوه التصرف، كما ان التي هي أحسن أبلغ من التي هي حسنة، والمعنى المقصود هو التشدد في شأن أموال كل قاصر عن التصرف في أمواله إلا على الوجه المألوف يتيما كان أو مجنونا أو سفيها أو غائبا أو صغيرا يتولى أبوه شؤونه المالية، وان على أولياء هؤلاء أن يحافظوا على أموال القاصرين، ويدبروها لمصلحتهم، ومن هنا ذهب جماعة من كبار الفقهاء إلى أن تصرفات الولي في مال القاصر لا تنفذ إلا مع الغبطة والمصلحة، ونحن على هذا الرأي، حتى ولو كان الولي أبا أو جدا لأب، ودليلنا كلمة أحسن. أما حديث: «أنت ومالك لأبيك» فهو حكم أخلاقي لا شرعي بدليل كلمة (أنت) فان الابن ليس سلعة يملكها الأب.

وتسأل: ان كلمة اليتيم تختص بمن مات أبوه، وهو صغير، فكيف جعلتها عامة تشمل كل قاصر؟

الجواب: نحن نعلم علم اليقين ان السبب المبرر لوجوب التصرف بالتي هي أحسن هو القصور، وليس اليتم بما هو يتم، والقصور متحقق في الجميع من غير تفاوت.

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ وتجد تفسيره في الآية ٥ من النساء: ﴿وابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ﴾ وتقدم تفسيرها في ج ٢ ص ٢٥٦.

٧ -﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هذه جملة معترضة، والقصد منها التنبيه إلى ان الوفاء المطلوب بالكيل والميزان هو الوفاء الممكن المعروف بين الناس، وهم يتسامحون بزيادة ما قل أو نقصانه، لأن مراعاة الحد العادل فيه نحو من العسر والحرج ﴿وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. وعلى أية حال، فإن الأساس في شتى أنواع التجارة هو رضا الطرفين، سواء أكانت السلعة مما يكال أو يوزن أو يعد أو يذرع، أو يقدر بالفكر كالكتاب، أو النظر كالقطعة الفنية.

٨ - ﴿وإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ولَوْ كانَ ذا قُرْبى﴾ هذا هو المحك لمن يخاف الله ويخلص له ويشعر أمامه بالمسؤولية، لا أمام زوجة أو أب أو أم أو ابن أو صهر.. لا شيء إلا الحق والعدل، أما من يتكلم باسم الدين، ثم يميل به هواه مع قريب أو صديق فما هو من الدين في شيء.

٩ - ﴿وبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾. وكل ما أمر الله به، ونهى عنه فهو عهد الله، أما الوفاء به فامتثاله وطاعته ﴿ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ولا تغفلون عن طاعة من لا يغفل عنكم.

١٠ - ﴿وأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً﴾ هذا إشارة إلى كل ما ذكر، وهو صراط الله المستقيم، وليس بعده إلا الضياع والضلال ﴿فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ كالشرك والإلحاد والأحزاب والأديان الباطلة ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. فأي سبيل غير القرآن والإسلام فهو من وضع الأهواء، وليس للأهواء حد ولا ضابط، فإذا اتبعها الناس تفرقوا شيعا وأحزابا متناحرة، أما إذا اتبعوا جميعا دين الله فتوحدهم العقيدة الحقة، والإيمان القويم، وفي الحديث: ان النبي ﷺ خط خطا بيده، وقال: هذا سبيل الله مستقيما، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، وقال: هذه ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.. ﴿ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سبل الشيطان التي تميل بكم مع الأهواء والشهوات.

نشاطات الروح المختلفة

للإنسان نشاطات روحية وفكرية عديدة، سواء في الشعور أم في اللاشعور، بحيث يمكن لكل واحد من هذه النشاطات أن يكون موضوع بحث مستقل في كتب متعددة (وغالباً ما كان)، وقسم من هذه النشاطات على النحو التالي:

أ) «التفكير» من أجل الوصول إلى المجهولات، أو بتعبير الفلاسفة حركة الفكر نحو المبادئ، ثم حركته الأخرى من المبادىء نحو الأهداف والمراد.

ب) «الابتكار» من أجل حلّ مشاكل الحياة غير المتوقعة، ومواجهة الحوادث المختلفة، ورفع الاحتياجات المتنوعة والابداعات والاكتشافات والاختراعات.

ج) «الذاكرة» لحفظ أنواع المعلومات التي يحصل عليها الإنسان عن طريق الحس أو التفكير وتبويبها وخزنها ثم استذكارها عند الحاجة.

د) «التجربة وتحليل القضايا» من أجل معرفة علل وجذور الحوادث عن طريق فصل المفاهيم الذهنية عن بعضها، ثم تركيبها، ثم الوصول إلى علل ونتائج الحوادث.

هـ) «التخيل» أي إيجاد صورة ذهنية قد لا تكون في بعض الأحيان موجودة في الخارج

كمقدمة لفهم القضايا الجديدة.

و) «الإرادة والتصميم» لأجل القيام بالأعمال أو التوقف عنها أو تغييرها.

ز) «الإدراكات الفطرية والعقلية» وهي الأساس في الاستدلالات النظرية وغير البديهية.

ح) العشق، الحب، العداوة وعشرات الظواهر الروحية الأخرى ذات التأثيرات الإيجابية أو السلبية في أفعال الإنسان.

وبالطبع فهذه القضايا ليست منفصلة عن بعضها، بل هي متمركزة جميعها في داخل روح الإنسان، إنّها أمواج من هذا المحيط اللامتناهي، وأنوار من هذه الشمس الساطعة، وهذا ما يدل على أنّ الروح الآدمية أرفع آيات الله وأهم علاماته.

وفي قول القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة : ﴿وَفِي الأَرضِ آياتٌ لِّلمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُم أَفَلا تُبصِرُونَ﴾. (الذاريات/ ٢١).

ولا نذهب بعيداً فإنَّ الذاكرة الإنسانية التي تمثل أرشيفاً للمعلومات المختلفة على درجة من الغرابة والعجب بحيث لو أننا أردنا توظيف مئات الأشخاص لحفظ وظرافة وترتيب معلومات أحد الأشخاص لاستحال عليهم القيام بنشاط الذاكرة بهذه السرعة والدقة.

ولو سلبت منّا الذاكرة لساعة واحدة لما أمكنتنا الحياة، فلا نضلُّ الطريق إلى منازلنا فحسب، بل سيصيبنا النسيان حتى في مكان وضع اللقمة في فمنا عند تناول الطعام، سيكون كل شيء بالنسبة لنا مجهولًا ووحشياً وغريباً ومُحيراً.

فقد أحد الشباب جزءاً من ذاكرته نتيجة حادث سير أصابه بضربة دماغية، وعندما حملوه إلى بيته أنكر بيته! وقال: إنّ هذه هي المرة الأولى التي أضع فيها قدمي هنا! بل حتى أمه كان يتصورها امرأة غريبة، وبدت اللوحة الفنية التي رسمها بيديه مجهولة تماماً في عينيه، وكان يقول : إنّها اول مرّة أراها.

إنّنا نحمل في أرشيف ذاكراتنا صوراً لآلاف الموجودات وآلاف آلاف البشر وآلاف آلاف المواد المختلفة وآلاف آلاف الخواطر واللقطات وآلاف آلاف المعلومات المختلفة الاخرى، والعجيب أنّ استحضار احدى الخواطر لا يحتاج أكثر من واحد بالألف من الثانية من أجل أن يستطيع الإنسان الانتباه إلى خاطرة معينة من بين معلوماته المبوبة التي مضت عليها لحظة أو سنة أو خمسون سنة، خاصة وأنّ العلماء يشيرون إلى إحدى الأعمال المحيرة للذاكرة والتي يسمونها «معجزة الذاكرة» وهي بالترتيب الآتي:

كثيراً ما ينسى الإنسان اسم شخص أو

موضوعاً ثم يجهد ويحاول أن يتذكره ويقلّب رفوف أرشيف ذاكرته واحداً بعد الآخر ولكن دون جدوى.

حسناً، إن كان الإنسان يعلم ذلك الاسم أو الموضوع، فلماذا يبحث عنه؟ وإن لم يكن يعلمه فكيف يبحث عن شيء لا يعلمه؟ أفيمكن أن يبحث الإنسان عن ضالة لا يعرف ما هي أو من هي؟!

ومع هذا فيصدق على ذاكرة الإنسان أن تبحث عند النسيان عن ضالة لا تعلم ما هي؟

وفجأة تصل إلى الرف الذي يحمل ضالتها فتعثر عليها.

وهنا توجد نقطة دقيقة يكمن فيها الحل المذهل للقضية، وهي : في مثل هذه المواضع لا يبحث الإنسان عن ذات ذلك الاسم أو الموضوع الذي لا يعرف ما هو بل من أجل العثور عليه تراه يبحث عن مجموعة الحوادث التي يعلم بشكل إجمالي أنّه اختزنها في ذهنه بمعية الاسم المطلوب (لأنّ الحوادث المختلفة تُخْتَزَنُ على شكل مجموعات مجموعات)، فمثلًا هو يعلم أنّه تعرف لأول مرّة على الشخص المعني الذي نسي اسمه في اليوم الفلاني والمحل الفلاني، لذلك يطلب من أرشيف الذاكرة وبشكل فوري إضبارة ذلك اليوم وذلك المحل ويتصفحها بسرعة البرق ليعثر في طياتها على اسم ذلك الشخص.

ونختم هذا الكلام بحديث عن الإمام الصادق عليه السلام وَرَدَ في توحيد المفضل، يقول:

«تأمل يا مفضّل هذه القوى التي في النفس وموقعها من الإنسان، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظَ وحده كيف كانت تكون حاله ؟ وكم من خلل كان يدخل عليه في اموره ومعاشه وتجارته إذا لم يحفظ ماله وما عليه وما أخذه وما أعطى، وما رأى وما سمع، وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به، وما نفعه ممّا ضره، ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يُحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى، بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية أصلا».

ثم يضيف الإمام: «وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان، فإنّه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات..»[1].

[نفحات القرآن]

(١) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٨٠ و٨١.

أوراق ثقافية

الأدب والأديب

الشيخ علي كاشف الغطاء

إليكم أيها الأفاضل أوجّه كلماتي حول معرفة هذا الموضوع المبهم الذي لم يزل سراً غامضاً ولغزاً مبهماً لما هو مطروح من آراء المفكّرين ومحل تصادم نظرياتهم، فكل ذهب إلى مذهبه حيث استوت كتباً ضخمة مشحونة إلى حواشيها بكل ما تخيله المتخيلون وكدَّ فيه الباحثون حتّى ادعى بعضهم أن الأدب صعب، وها أنا حاسر عن ذراعي لحل هذا السر المبهم واللغز المعمى عسى ولعل أن أظفر بالحقيقة وأصل إلى كنهه، باذلاً كلّ وسعي وجهدي على مقدار ناموس فضلي وفضيلتي.

على المرء أن يسعى بمقدار جهده ... وليس عليه أن يساعده الدهر

إنّ الأدب في محيط الاصلاح معنى وفي محيط الخيال معنى آخر، وطالما حصل الخلط بين هذين المعنيين فتشب نار الاختلاف، وتتضارب الآراء والأفكار. أما الأدب في محيط الإصلاح ليس إلّا هو الطبيعة الإنسانية في أفضل معانيها وأحسن مبانيها والنفس البشرية بأجمل مظاهرها وأفضل حالاتها. والأدب، وهو ميزان الطبيعة العادلة لا يعطي للأفراد إلّا ما يستحقونه كما هو الكلمة الجامعة لمحاسن الأشياء سواء أكانت من الأفعال أم الأقوال. كيف ولا زالت الأحكام والشرائع من ظواهره وتخيلاته، وإن ما يرفع البلاد نحو العظمة ويمدّ سطوتها المادية والأدبية ويجعلها مسيطرة على سائر الأمم ليس إلّا الأدب، كيف وهو مبدأ الطاعة وأساس العظمة وإلى مفعوله يستند عرش السلطة وصولجان القوة.

إنّ الناس لا تكاد تنجح في مشروعها الحيوي إلّا إذا استعانت بذوي العقول الحاذقة وتبعث إرشادات الآداب الحسنة، وقد سجل التاريخ مراراً ترشدنا إلى هذه الحقيقة وأهميتها في محيط النجاح.

فإن رجلاً قال لبعض العقلاء: مالك لا تجمل الملبوس وزينة الثياب تدلّ على حسن الفطنة، فقال العاقل: إنما يرفع المرء أدبه وعقله لا حليته وحلته، قاتل الله امرأً يرضى أن ترفعه هيئته وجماله لا أدبه وعقله.

لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدب

والأدب تستمد نفسيته من أمور ثلاثة:

أولها: حسن السلوك إذ به يستطيع الإنسان في حياته الفردية أن يكون ذا منزلة بين قومه وصحبه.

قد يشرف المرء في آدابه ... فينا وإن كان وضيع الحسب

ثانيها: الاعتماد على النفس إذ به تستطيع النفس الإنسانية أن تنال مطلوبها حيث يقوى العزم

بالاعتماد على الذات ويضعف عند الاعتماد على الغير.

و إنـــما رجـــل الـــدنـــيـــا وواحـــــدا مـــن لا يـعـول في الـدنـيـا عـلى رجـل

ثالثها: المثابرة على العمل إذ بها يتوصّل الإنسان لأمانيه بأقرب مدّة وأقصر زمان، إذ إن فلاح البشر في سبيل الحياة العامة منوط بسعيهم وعملهم، وأكثرهم إقداماً وأمضاهم عزيمة، أنجحهم وقد قيل:

الجـد في الجـد والحـرمـان في الكسل فـما تـصـيـب قـريـب غـايـة الأمـل

فهذه هي الصفات الأولية التي تتكوّن منها الروحية الأدبية، وأمّا الحلم والمروءة والوفاء والإنصاف وحسن الخلق والصدق والأمانة فهي وإن كانت لها مدخل في أدبية النفس البشرية إلّا إنها عوامل ثانوية ترجع إلى حسن السلوك، إذ ليس الحلم إلّا التغلب على عوامل الغضب مع التجنب عن الانتقام وليس الوفاء إلّا الخضوع إلى ناموس الأخوة وعامل الصداقة وليس الإنصاف إلّا استيفاء الحقوق من نفسه لغيره، ومن غيره لنفسه وليس الصدق إلّا التجنب عن التحلي بغير المظهر الحقيقي، وليست الأمانة إلّا ترك التعدّي على ما جعل تحت السيطرة العامة أو الخاصة، وليست المروءة إلّا إغاثة الملهوف وإعانة الضعيف، والعدل في الحكم، والكف عن الظلم، وليس حسن الخلق إلّا أن يكون الشخص لين الجانب حلو الوجه قليل النفور طيب الكلمة.

لقد تناول هذا الموضوع المفكّرون وتصادمت نظرياتهم فيه فكل ذهب إلى رأي إن للأدب في محيط السير والسلوك معنى، وفي محيط الخيال معنى آخر وطالما حصل الخلط بين هذين المعنيين فشبت نار الاختلاف وتضاربت الآراء والأفكار.

ولولا الخوف من الضجر من كثرة الكلام في هذا الموضوع لأقمت البراهين العلمية والدلائل النقلية المبرمة المحكمة إن هذا هو الأدب في محيط الإصلاح وعند علماء الأخلاق وأما الأدب في محيط الخيال فقد مرّ الكلام عليه في الكلم الطيب.

ليس الأدب في هذا المحيط هو ما خط القلم عن القراطيس من نثر أو نظم يمتاز بحسن الاستعارة ورقة التشبيه، أو هو ما نطق به اللسان من الشعر أو الكلام بالمحسنات اللفظية والمعنوية كما توهم بعض الناس مجموعة قصص تتلى عند الفكاهة، أو أباطيل من طرفة تذكر في أوقات المسامرة، وإنما الأدب هو البيان الذي يستمد غذاءه مما يمكن من أسرار العالم وأطوار الحياة، فإن الأسرار ما برحت

كائنة في كل شيء، وما زالت تصادف من هذا الكاتب وذاك الشاعر من يبرزها إلى حيز الوجود في هذه الصورة، أو تلك في مقادير مختلفة من الوضوح والجلاء وبدرجات متفاضلة من البيان وجمال التعبير كل على حسب ناموس فضله وفضيلته والأدب ليس إلا كشفاً وجلاءً لبدائع الطبيعة ونواميس الحياة، وهو معرض أفكار النفوس الحية والأرواح الحساسة التي لم تبرح كل ما ينتابها من عوامل الوجود، وتنشد كل ما شاهدته من بيضات الحياة ألا وإن الأدب هو هذه القصيدة والرسالة، وتلك المقالة والرواية التي ينشدها صاحبها لا يريد بها إلا الجمال الفني في نفسه لا يريد بها إلا أن تظهر شعورا اشتملت عليه نفسه وأحس به ضميره، أو خاطره كونه عقله في لفظ يناسبه وكلام يلائمه في الرقة والعذوبة واللين والروعة والعنف والخشونة هو هذه الآثار التي تصدر عن صاحبها كما يبعث النور الأثير من القمر المنير وكما يصدر التغريد من البلبل الصداح عندما يميل به الغصن الرطيب وكما ينبعث العرف من الزهرة الأرجة.

هذا هو الذي اضطر الشاعر إلى إنتاجه والكاتب إلى كتابته اتصاله بالآثار الطبيعية التي تمثل طورا من أطوار الحياة في نفوسنا وناحية من أنحاء الجمال التي في قلوبنا إذن فالأدب هو الذي خصّ بجمال التنسيق ورنة الوقع وصحة الفكر ودقة البيان عما تحدثه بدائع الطبيعة في أوتار قلبه من التأثير فيه، هو الذي لا يزال يخضع لكل ما تخضع له التأثيرات النفسية من الزمان والبيئة والمحيط والجماعة إلى غير ذلك من المؤثرات.

[الكلم الطيب]

ألاعج يوم الطف

جاء في (المنتخب) للشيخ فخر الدين الطريحي المتوفّى (١٠٨٥هـ) قوله في الإمام الحسين (عليه السلام):

ألاعـج يـوم الـطـف لا زلـتَ واربـا ... وللقلب لم تـبرح على الصعب لاويا

كـم انـصـدعـت أمـعـاء مهجة أنفس ... فليس لها مـن جـرحـك الـدهـرآسـيا

ومـا زال زنـد الغيظ للوجد مضرماً ... وضلعي عـلى جمر الغضا منه حانيا

بـك انـطـمـسـت آثـــار ديـــن محمد ... وأصـبـح فيك الـكـون بـالحزن داجيا

وهـــدّ مـن المـجـد الأثـيـل قـوامـه ... فـقـوّض لـلـعـلـيـا قـبـابـاً رواسـيـا

وفـاضـت عـيـون المـكـرمـات كآبة ... وجفن العلا ما انفك بالدمع جاريا

وقـامـت لحـشر الأنـبـيـاء قـيـامـة ... تـرى الـكـل فـيـهـا لـلـجـريـمـة جاثيا

بـهـا صـور صَـعـق الخـلـق حـرّك للفنا ... فـأصـبـح فـيـهـا حـجـة الله ثـاويـا

ألا أيـهـا الـيـوم المـشـوم عـلى الـورى ... تـركـت جـفـون المـكـرمـات دوامـيـا

ضربت بسيف الجور كيوان عزها فغودر فيها العدل أجرد ضاحيا
سرت منك في جنح الظلام قوائم فكورن في ضوء النهار الدراريا
وسعّرن نيران الحروب فزعزعت قوى العرش حتى قد برحن الثوانيا
قضت فيك جوراً آل حرب ذحولها وساءت بآل الاكرمين التقاضيا
وشقّت على آل النبي ستورها وثجّت لها بحراً من الدم ساجيا
لقد أثكل الدنيا لواعجك التي صببن على كل الانام الدواهيا
وقدّ لها طود الهداية قلبه وأصبح من ثكل لرزئك واهيا
غداة قضى سبط النبي محمد على سغب طاوي الحشاشة ضاميا
حمى حوزة المجد المؤثل وانثنى يجلّي عنا لدين الحنيف الغواشيا

وقد جاراه السيد حيدر بقصيدته التي مرّت وذلك بعد وفاة الشيخ فخر الدين الطريحي بأكثر من مائتي عام فقال :

أناعيَ قتلى الطف لا زلت ناعيا تهيج على طول الليالي البواكيا
أعد ذكرهم في كربلا ، إن ذكرهم طوى جزعاً طي السجل فؤاديا
ودع مقلتي تحمر بعد ابيضاضها بعدّ رزايا تترك الدمع داميا

[أدب الطف: ج٨ ص ٢٠]

يا نفس

يا نفس:

الخير باق، والاحسان واق، والمرء لما قدم لان، ومن الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد، وإنما لك من دنياك، ما أصلحت به مثواك، وإذا جزعت على ما تفلت من يديك، فاجزعي على كل ما لم يصل إليك، ولا تكوني كدودة القز تهلك في حبسها، لبنائها من جهلها على نفسها.

ألم تر أنّ المرء طول حياته
معنى بأمر لا يزال يعالجه
كدود القز ينسج دائما
ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

يا نفس:

.. ينظر المريض إلى لذيذ الطعام، فلا يلتذ من شدة الاسقام، كذلك صاحب الدنيا لا يجد لذة العبادة وحلاوتها، مع ما يجد من محبة الدنيا وغضارتها.

واعلمي: أن الدابة إذا لم تركب وتمتهن، نفرت واستصعبت، كذلك القلوب إذا لم ترتق بذكر الموت قست واستغلظت، وأن الزق [أي الوعاء للشراب] إذا لم ينخرق شك أن يكون وعاء للعسل، كذلك القلوب إذا لم تخرقها الشهوات يوشك أن تكون اوعية للحكمة وصالح العمل.

يا نفس:

قد ورد في الوحي القديم، عن الربّ العظيم: أعددت لعبادي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، هذا مع أن عيان الآخرة أعظم من سماعها، بخلاف الدنيا لخساسة متاعها، وما أيام دنياك التي تشتري بها هذا النعيم المقيم والفضل العظيم إلّا ساعة، فاجعليها طاعة، والماضي من دنياك لا تجدين للذته تنعيماً، ولا لبؤسه تأليماً، والمستقبل قد لا تدركيه، وإنما أنت بالوقت الذي أنت فيه، ثم إن لم تبيعي هذا الوقت القصير بنعيم الآخرة، بعتها بثمن بخس وصفقة خاسرة.

الدهر ساومني عمري فقلت له
ما بعت عمري بالدنيا وما فيها
ثم اشتراها بتدريج بلا ثمن
تبت يدا صفقة قد خاب شاريها

يا نفس:

لا تقولي أنا أتنعم في الدنيا بما أباحه الله من المستلذات .. فإنّ هذا القول تمويه وزور، وحمق وغرور، لأنّ المتوغل في فضول الدنيا لا ينفك عن تورط الشبهات، والحرص الموقع في مهاوي الآفات، وإن سلم من الحرص – وأنى له – لم يسلم من القساوة والملالة، فخائض الماء يجد البلل لا محالة.

[محاسبة النفس اللوامة]